روح جدتي

ديوان العرب للنشر والتوزيع

اســـــم الكتاب: روح جدتي
اســـم المؤلف: حنان حنفي أحمد
التصنيـــــــف: رواية
الحجـــــــــم: 14 - 20
عدد الصفحات: 196
سنة الإصـــدار: 2025
رقـــم الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: 20555 / 2025
الترقيم الدولي: 978 - 977 – 971 – 224 – 6

تدقيـــق لغوي: فريق ديوان العرب
تصميم غـــلاف: هبة عماد
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

للتواصل: dewanalarabegypt@gmail.com
واتساب: 01030502390

روح جدتي

رواية

حنان حنفي أحمد

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى صديقتي الكاتبة المبدعة التي استحقت لقب صاحبة القلم الذهبي عن جدارة

لطالما كنتِ الداعم لي ولغيري، لم تبخلي على أحد بالنصيحة أو المساعدة ودون مقابل، أينما أردت مشورتك في شيء كنتِ حاضرة قلبا وقالبا، تلك هي عادتك وليس بغريب عليكِ يا صاحبة القلب الطيب

أدام الله إبداعك وأدام الله المحبة والود بيننا

صديقتي العزيزة

مي حسام أبو صير

حنان حنفي أحمد

****

القاهرة قبل سبعة عشر عام

في إحدى الأيام الحارة بالشارع الكبير وسط القاهرة؛ الذي يشتهر بازدحامه في مثل ذلك الوقت، كانت هناك فتاة جميلة تمشي ببطء وتحمل بين يديها ثوب زفاف ناصع البياض، مُرصع ببعض الجواهر، أكثر من فتاة رأتها بذلك اليوم غبطتها على ثوبها ومظهرها، فهي تبدو جميلة وكأنها تنتمي لعصور الأميرات بشعرها الذي ينسدل على كتفيها بانسيابية، وبشرتها الناصعة البياض وعينيها الخضراوين، وقد كان مظهر الثوب الذي تحمله بين يديها يوحي بالفخامة والأصالة، تمنت أكثر من فتاة أن تحذو حذوها، تأملتها واحدة منهن للحظة وقالت بصوت استطاعت هي أن تسمعه: كم هي محظوظة!

أكملت الفتاة في طريقها دون الالتفات لأحد، كانت وكأنها في عالم آخر غير عالمهم، اقتربت منها سيدة لطيفة تبدو عليها كأنها أمها، وضعت يدها على كتفها بحنان، فتهربت منها الفتاة كعادتها مؤخرا وسبقت خطواتها، توقفت المرأة في حيرة من أمرها، اقتربت منها امرأة أخرى تبدو متقاربة لها في العمر وبصحبتها طفلة صغيرة، ربتت على كتفها تطمئنها وتحثها على المضي قدما، فتحركت وابتعدت عنهم قليلا، ثم أفاق الجميع على صوت هادر لفرامل سيارة تصطدم بأحد، شعرت السيدة الأولى بالقلق وأخذت تبحث بعينيها عمن كانوا بصحبتها، تحاول أن تطمئن أنهم بأمان عن تلك

الحادثة فلا تجدهم، ثم نظرت بهلع صوب السيارة التي فرت هاربة فور الاصطدام، لتجد الفتاة طريحة الأرض، غارقة في دمائها وقد طال ثوب زفافها بعض من الدماء المتناثرة، صرخت ففزع كل من بالشارع، بينما هرعت السيدة الأخرى ومعها ابنتها نحو الفتاة المسجاة أرضا، التف حولها المارة يضربون كفا بكف وبعض الفتيات الاتي كانوا يغبطونها قبل قليل، صرخ البعض:

ـ استدعوا الاسعاف.

بينما هبط شاب على قدميه، واقترب منها يفحص نبضها باهتمام ثم قال بحزن: البقاء لله، لقد أسلمت روحها لبارئها.

ماتت روح، ومات معها حلم زفافها على من تحب، ومات معها سرها الذي كانت تخفيه عن الجميع.

الفصل الأول

القاهرة في وقتنا الحالي

هناك بعض الأشخاص تلجأ إلى حيل خاصة بها؛ لتبدو هادئة، في حين بداخلها تعم الفوضى، ذلك ما يسمى بالمسكن المؤقت، الذي يهدىء صاحبه ويجعله يشعر بالأمان وبمنأى عن التخبط؛ ليستطع استكمال طريقه، هكذا كانت تفعل كيان، توحي للجميع ولنفسها قبلهم أنها بخير حال، في حين تعم الفوضى بداخلها، لتجعلها تتحدث أحيانا مع نفسها، كما حدث في ذلك اليوم.

قطعت الغرفة ذهابا وإيابا، وهي تتمتم ببعض الكلمات الغير مفهومة، لم تكن تحب أن تبدو على ذلك الحال من التوتر والقلق، وهي التي تحاول باستمرار أن تقنع من حولها بالعكس، لكن ماذا تفعل وهي الآن بصدد مشكلة حقيقية؟ لم تشعر بنفسها وهي تتحدث بصوت مرتفع كان كاف لأن تسمعه أمها؛ التي دلفت إليها وهي تضرب كفا بكف وتقول:

ـ هل تتحدثين مع نفسك يا كيان؟

نظرت لها بعينين زائغتين وقالت:

ـ هل كان صوتي مرتفعا إلى هذا الحد؟

ـ نعم، ألم تشعري بنفسكِ؟

ـ لا والفضل يعود لأدهم سامحه الله، لقد قلب حياتي رأسا على عقب.

جلست كيان على طرف السرير تعلن استسلامها، فجلست أمها إلى جانبها وربتت على كتفها بحنان وقالت:

ـ ماذا حدث لكل ذلك؟

ـ لقد حدثني منذ قليل، أخبرني أنه جاءته فرصة عمل لا تعوض بدبي، وأنني يجب أن أستعد للزفاف في أسرع وقت، حتى يتسنى لي السفر بصحبته.

نهضت أمها وقالت بقلق:

ـ ماذا؟ نحن لم نتفق على ذلك، أنا لن أوافق على هذا الوضع أبدا.

اقتربت كيان منها، شعرت بقلقها، كانت تعلم جيدا مقدار حبها لها وخوفها عليها، فهي لا تشعر بالأمان إلا وهي وأخيها حولها، قالت لها:

ـ يا أمي أنا لست معترضة على مبدأ السفر نفسه، فهو إنسان طموح ويبحث عن فرصة عمل، توفر لنا مستقبلا أفضل.

نظرت لها مستنكرة وقالت:

ـ ألا يفرق معكِ أن تبتعدي عني؟

ـ يا أمي إنه وضع مؤقت

ـ أفهم من ذلك أنكِ كنتِ على علم بأمر السفر!

ولتها ظهرها لتهرب من عينها وقالت:

ـ لقد صرح لي أنه يبحث عن فرصة عمل بالخارج، ولكننا لم نتفق على شيء

ـ أنا لا أصدق أنكِ موافقة على الابتعاد عنا!

قالتها ثم همت بأن تغادر، حاولت كيان أن تستوقفها ولكن دون جدوى، كانت تعرف أنها ترفض مبدأ السفر برمته، وأنها لن تستسيغ فكرة الابتعاد عنها، فقد سيطرت عليها أفكار سيئة منذ أن توفت خالتها روح أمام عينها؛ خاصة وأنها كانت متعلقة بها كثيرا؛ لأنها كانت بمثابة أخت لها، فقد كانت في نفس عمرها تقريبا.

.....

دلفت خديجة إلى غرفة نومها، كان يبدو عليها الضيق، لمحها حازم الذي يستعد للنزول إلى عمله، التقط من دولاب ملابسه سترة أنيقة، كانت باللون الأزرق، ووقف أمام خديجة وسألها:

ـ ما رأيك أن ارتدي تلك السترة اليوم؟ أعرف أنكِ تعشقين اللون الأزرق.

لم ترد عليه فاستطرد بضحك:

ـ أم أنكِ تخشين أن تزيدني وسامة، فتتودد إليّ إحدى الطالبات بالجامعة؟

عندما فشل أن يخرجها من حالتها سألها باهتمام:

ـ ماذا بكِ؟

قالت بعصبية:

ـ ابنتك تريد أن تسافر برفقة أدهم بعد زواجهما.

ضيق ما بين حاجبيه، خشي أن يخبرها أنه كان على علم بالأمر، فتصب جم غضبها عليه، اكتفى بالقول:

ـ إنه مستقبلهما، والأصح أن نترك لهما حرية التفكير والاختيار.

نظرت له غير مصدقة وقالت:

ـ حتى أنت تقول هذا، إنها كيان يا حازم.. كيان

ـ أعرف أنها ليست فقط ابنتك، وأنها تعني لكِ الدنيا وما فيها، ولكن لا تنسي أن لها أخ أصغر في حاجة إليكِ

ـ أنا لا أفرق في المعاملة بينهما، إنني أكن لهما من الحب الكثير، ولكن كيان ليست ابنتي فقط، إنها تذكرني بخالتي روح التي كانت بمثابة شقيقة لي.

ثم نظرت صوب الصورة، التي تضعها بجوار فراشها وأردفت:

ـ إنها قطعة منها، وكأن الله يعوضني غيابها.

دمعت عينيها، عندما لاحظ حازم ذلك لم يتردد، أسرع نحوها وربت على كتفها بحنان ثم قال:

ـ نحن حولكِ يا خديجة، ألا نكفيكِ؟

ـ هذا شيء خارج عن إرادتي، لا أستطيع نسيانها ولا نسيان ذلك اليوم الذي فقدتها فيه، لقد ماتت أمام عيني، ثم بعدها انهارت أمي تماما ولم تعد كما كانت أبدا، استسلمت للمرض لينهش بها، وماتت بعدها ببضعة أشهر حزنا عليها

ـ رحمهما الله، أرجوكِ تماسكِ من أجلنا، من أجل ابناءك اللذان في حاجة إليكِ.

قالت بعصبية:

ـ لم يعدا بحاجة إليّ، ابنتك تفكر في السفر ولا تفكر فيّ على الإطلاق، وكأن أدهم سحر لها

ـ هل سترتاحي إذا تزوجا وسافر هو وتركها هنا إلى جانبنا؛ ومشاهدتها وهي تتعذب بسبب بُعدها عن زوجها؟

ـ بالطبع لا، ولكن يمكنه التخلي عن قرار السفر هذا

ـ هذا لن يحدث، وأنا عن نفسي لن أشجعه على ذلك، إنه ليس مستقبله فقط، ولكنه مستقبل ابنتنا أيضا، وهذا يعني أن ننظر للمسألة من وجهة نظر الصالح العام.

قال ذلك ثم نهض وأردف بجدية:

ـ سأذهب إلى عملي فقد تأخرت بما يكفي.

غادر فجلست تنظر نحو صورة روح ثم حدثتها قائلة:

ـ كم أشتاق إليكِ يا حبيبتي، أخشى من ابتعاد كيان عني فهي تذكرني بكِ.

نهضت واتجهت إلى تلك الغرفة الصغيرة التي تحيك الملابس بها، اقتربت من دولاب صغير في جانب الغرفة، وقفت أمامه مترددة ثم فتحته بعد برهة، وقع نظرها على ثوب الزفاف المغلف بعناية الذي كان يتوسطه، نظرت

له مطولا، لمسته بحرص وكأنها تخشى بلمستها أن تجعده، أخذت تتخيل عندما كانت تواصل العمل الليل بالنهار عليه، لقد أقسمت روح أنها لن ترتدي ثوب زفاف إلا من تصميمها وعمل يدها، فلم تكن ستجد أحد ليتحملها بطلباتها الكثيرة، كانت كل يوم تذهب إليها وتطلب منها تعديل جديد، وتطلعت أن تراه جاهز بفارغ الصبر؛ لذا تفرغت خديجة له تماما ولم تعمل على أية أثواب غيره، ابتسمت من دون وعي عندما تذكرت ذلك اليوم عندما رأت روح الثوب بعد انتهاءها منه، كادت أن تطير من السعادة، وعندما ارتدته وتطلعت إلى نفسها في المرآة ابتسمت ودمعت عينيها، فقد كان الثوب يكاد ينطق جمالا وأناقة عليها، يومها احتضنت خديجة وقبلتها بحب وقالت لها:

ـ لقد صبرتِ عليّ وعلى طلباتي الكثيرة، أنتِ حقا أختي التي لم تلدها أمي.

كان هذا آخر يوم تراها فيه خديجة وهي سعيدة هكذا، فقد سافرت بعدها في مهمة عمل لصالح الجريدة التي كانت تعمل بها، وبعد عودتها من السفر تبدل حالها تماما، وقد حاولت أن تعرف ماذا حدث لها في تلك السفرة، ولكن روح أكدت لها أنها بخير، وبعد تلك السفرة بعدة أسابيع تعرضت لذلك الحادث المؤسف؛ لتسلم روحها إلى بارئها قبيل أيام من زفافها؛ ليموت معها سر حزنها الذي لم يكن على علم به أحد سواها.

.....

دلفت كيان إلى نادي شهير، بحثت بعينها عن أدهم، كان المكان مزدحما على الرغم من انتصاف الأسبوع ولم يكن يوم اجازة، حاولت الاتصال به فكان هاتفه مشغولا كالعادة، حيث لم يصادف في يوم أن اتصلت عليه ووجدته يجيب على الفور، دقت عليه مرتين وعندما وجدته لازال مشغولا قررت أن تنتظره في الكافتريا، فور أن جلست اقترب منها النادل وقال:

ـ هل آتِ لكِ بالقهوة الآن، أم ستنتظري أستاذ أدهم كالع..

بتر حديثه عندما تذكر المرة الأخيرة التي قال لها هذا، وظلت بعدها تعلو وجهها نظرة حزينة بسبب شعورها أنها مُهملة.

قالت له:

ـ آتني بقهوتي الآن يا محمد، وسأرى ماذا سأتناول لاحقا عندما يحضر الأستاذ أدهم.

كانت تعلم بصفاء نيته وأنه لا ينوي التطفل عليها؛ لذا لم تؤاخذه على حديثه لا في المرة السابقة أو محاولته اليوم، تناولت هاتفها وقررت أن تتحدث مع ريتاج صديقتها، أتاها صوتها ناعسا فسألتها:

ـ أمازلتِ نائمة إلى الآن، لقد أوشكت الشمس أن تغيب؟

ـ وما الذي سيجعلني أصحو مبكرا؟ ليس لديّ وظيفة ولا أتحمل مسؤولية أحد

ـ أنتِ هكذا دوما ولن تتغيري، لقد كنت أود التحدث معكِ قليلا لحين مجيء أدهم.

ضحكت ريتاج وقالت:

ـ هل تأخر عليكِ مثل عادته؟

ـ ريتاج أرجوكِ لا تزيديني هما

ـ حسنا لا تغضبي، سأتناول القهوة لأفيق وأتحدث معكِ بذهنٍ صاف.

أنهت معها المكالمة لحين استكمال حديثها معها لاحقا، أحضر محمد القهوة وقال:

ـ أجمل فنجان قهوة لحضرتك.

قالت ممتنة:

ـ أشكرك.

فور ارتشافها من قهوتها انتابتها السعادة من مذاقها الرائع، نظرت نحو محمد وقالت:

ـ سلمت يداك، إنها رائعة المذاق، لا أحد يعد لي القهوة بمثل هذا الجمال!

ـ حضرتك تستحقي كل الخير.

تركها وغادر وأخذت هي تفكر في جملته الأخيرة، إن كانت حقا تستحق كل الخير؛ لمَ إذا تصبر على أدهم كل هذا القدر، هل كان حبها له السبب، أم أنها تخشى أن تظلمه؟

قاطع تفكيرها عندما لاحظت شاب يجلس بالمنضدة التي أمامها؛ يختلس النظر إليها كما لو أنه يُشبه عليها، أشاحت بوجهها عنه في خجل، استاءت من أدهم أكثر لأنه السبب في جلوسها وحدها هكذا؛ لتكن فريسة سهلة

لمثل هؤلاء الحمقى، انضم شخص آخر لهذا الشاب، وما إن جلس معه وجدته ينظر نحوها هو الآخر بفضول، شعرت بالضيق، ثم حضر أدهم لينقذها من هذا الموقف المُحرج، قالت له:

ـ وأخيرا أتيت.

جلس وقال:

ـ لقد كان الطريق مزدحما

ـ لقد اتصلت عليك وكان خطك مشغولا، لماذا لم تحاول الاتصال بي؟

ـ عفوا لم ألاحظ اتصالك.

قالها وأشار إلى النادل أن يأتيه بكوب من العصير، لم يحاول أن يمتص غضبها بل زادها حنقا بلا مبالاته، تنفست بعمق وحاولت أن تهدأ قبل أن تقول:

ـ أمي علمت بأمر السفر وغير موافقة

ـ هذا شيء متوقع، والدتك تخشى عليكِ وأنتِ معها بنفس البلد فما بالك ببلد أخرى؟

ـ معك حق وأيضا نحن لم نمهد لها، ليتك تأتي معي لتحاول إقناعها بنفسك.

قال بنفاد صبر:

ـ ليس لديّ وقت لذلك، ثم إنني أمامي عدة خطوات عليّ انهاؤها قبيل السفر؛ لذا أرجو منكِ أن تقدري ذلك، وتحاولي مساعدتي أن نكتب كتابنا في أسرع وقت.

ـ ولكني لست مستعدة بعد، فأنا أمامي البحث عن ثوب زفاف لائق و..

قاطعها قائلا:

ـ إنها أشياء شكلية ليست ضرورية، حاولي انهاؤها بإيجاز.

قالها وشرع يرتشف من العصير غير مبال بموقفها الحرج مع أهلها، نظرت نحوه وحاولت التماس العذر له، فهو يفكر في النهاية في لم شملهما في أسرع وقت.

استقلت كيان سيارة أجرة، بعد أن تركها أدهم لتعود وحدها، بسبب التزامه ببعض المشاوير، توقفت السيارة أمام العقار الذي تقطن فيه، ترجلت منها ولمحت وهي تحاسب السائق ذلك الشاب الذي كان ينظر نحوها بالنادي، اصطف بسيارته إلى جانب العقار الذي تقطن فيه؛ فأسرعت من فورها لتصعد إلى شقتها قبل أن يلحق بها، لم تكن تعرف لمَ يراقبها ويتبعها إلى بيتها بهذا الشكل؟

****

الفصل الثاني

فور أن دلفت كيان إلى شقتها تنفست الصعداء، أغمضت عينيها بعد أن شعرت بالأمان، لا تعرف كيف قطعت الدرج بهذه السرعة، لم تستطع انتظار المصعد؛ الذي كان مشغولا، أرادت فقط أن تصل إلى شقتها لتكن بأمان عن هذا المتلصص عليها، لطالما شعرت بالخوف والقلق في مثل تلك المواقف، لقد كان السبب في ذلك أمها، التي مع الأسف لم تعلمها التصرف في مثل تلك الأمور، لقد زرعت في نفسها الرعب والخوف ممن حولها فقط.

فتحت عينيها لتجد أمها تقف أمامها، انتفضت فسألتها خديجة:

ـ أين كنتِ، ولمَ تأخرتِ على هذا النحو؟

كادت أن تنطق فباغتتها بسؤال آخر:

ـ ولمَ تلهثين هكذا، هل..؟

قاطعتها قائلة:

ـ اتركِ لي الفرصة لأتحدث

ـ وهل أمسكت بلسانك؟ هيا تكلمي

ـ لقد كنت مع أدهم.

لاحظت تغير وجهها فأردفت بسرعة:

ـ إنه يبعث لكِ سلامه وتحياته.

قالت بعصبية:

ـ لا سلمه الله، لماذا قابلتيه؟

ـ لقد كنا نتفق على بعض الأشياء بشأن زفافنا

ـ نحن لسنا مستعدين للزفاف الآن، من الممكن أن يسافر هو ونعد للزفاف فيما بعد طالما هو متعجلا هكذا.

لم تكن تحب سيطرتها عليها فقالت:

ـ ولكن يا أمي أنا لا أريد تأجيل الزفاف.

حضر حازم قبل أن تثور كعادتها وقال ليهدىء الموقف:

ـ هيا يا كيان تفضلي أنتِ على غرفتك وأبدلي ملابسك، وسنتحدث لاحقا بعد الغداء.

انصرفت من فورها، تناهى إلى سمعها أمها وهي تقول له بضيق:

ـ ولكني لم انتهي من الحديث معها بعد.

أخذ يهدئها كعادته قدر الاستطاعة، وتركها تتفوه ببعض الكلمات لتنفث عن غضبها، وهو يعلم جيدا أنها لن تتهاون في ذلك الأمر ولكنه لن يستسلم.

في طريقها لغرفتها لمحت كريم شقيقها الأصغر الذي يدعي دوما انشغاله بالثانوية العامة والمذاكرة؛ لكن هو في الحقيقة مشغول بالألعاب الإلكترونية ومشاهدة أفلام ومسلسلات الرسوم المتحركة.

كان يمسك بشق من البطيخ ويتناوله بطريقة مستفزة، هو لم يكن يشبهها لا شكلا ولا مضمونا، قال لها بطريقته المستفزة:

ـ ماذا فعلتِ تلك المرة يا كوكو، ألم تتعلمي من شقيقك الأصغر كيفية معالجة الأمور؟

قالت بضيق:

ـ لا أشكرك، لقد تركت لك تلك الطرق الرخيصة

ـ تلك الطرق الرخيصة هي التي تنفع مع أمنا

ـ هل تعتقد ذلك؟

ـ بكل تأكيد.

نظرت نحوه بضيق وقالت بصوت عال لتسمعها أمها:

ـ وماذا عن هذا البطيخ الذي بيدك، هل أمي على علم بأنك تتناوله وأنت تتمشى في الشقة هكذا؟

أشار لها بخوف أن تخفض صوتها ولكن كان قد فات الأوان، فقد سمعتها خديجة وأخذت توبخه، ضحكت كيان لتغيظه ثم دلفت إلى غرفتها.

ما إن جلست فوق فراشها لتستريح سمعت رنين هاتفها، ردت لتجد ريتاج فسألتها:

ـ أين كنتِ كل ذلك الوقت؟

ـ كنت استفيق من نومي كما أخبرتكِ

ـ كل هذا الوقت لتفيقي، لقد حدث الكثير والكثير منذ وقتها.

سألتها باهتمام:

ـ ماذا فاتني؟

ـ أشعر أنني أغرق.

قالت بدهشة:

ـ أنا لا أصدق أذني، وأخيرا كيان تستسلم وتعترف بالفشل

ـ أنا لم أفشل، ولكن الهموم تراكمت عليّ، أدهم يضغط عليّ من ناحية وأمي من ناحية أخرى، أخشى من كثرة الضغط أن أسوى بالأرض.

ضحكت ريتاج فاستطردت:

ـ وهذا غير هذا الشاب الذي كان يراقبني اليوم بالنادي، ثم تبعني إلى المنزل

ـ ماذا، من هذا الشاب؟

ـ لا أعرفه

ـ ألم تخبريه أنكِ مرتبطة؟

ـ ولماذا أتحدث معه من الأساس؟

ـ حتى تفطري قلبه باكرا

ـ أنا لم أعد أحتمل مزاحك هذا، لا أعلم ما الذي يجعلني أصبر عليكِ كل تلك المدة!

ضحكت وقالت:

ـ هذا لأنكِ تحبيني

ـ يا ريتاج أنا في مأزق بالفعل، ولا أعلم ماذا أفعل

ـ استعيني بالله يا عزيزتي كما دوما تخبرينني، ثم إنني معكِ ولن أتركك، سأساعدك بكل ما أُتيت من قوة.

ابتسمت كيان وقالت:

ـ أنتِ حقا صديقة..

سألتها متلهفة:

ـ ماذا ماذا؟

ـ مستفزة.

ضحكت الاثنتان وشعرت كيان بالراحة قليلا بعدما أفضت بما في صدرها، ثم بعدها توضأت لتصلي، وأخذت تدعو الله كثيرا أن يلهمها إلى طريق الصواب.

بعد أن انتهت من صلاتها ذهبت لتتناول الطعام مع عائلتها، لاحظت هدوء أمها الغير معتاد، وبعد غمز ولمز من قِبل أباها لأمها وجدتها تقول:

ـ نحن لن نقف في طريق مصلحتك يا حبيبتي، افعلي ما ترينه صائبا.

نظرت كيان غير مصدقة نحو والدها، كانت تعلم أنه خلف تغيير أمها المفاجيء، نهضت وقبلت رأسيهما بحب ثم قالت:

ـ لا أعلم كيف أشكرك يا أبي.

قالت خديجة مستنكرة:

ـ أباكِ فقط

ـ وأنتِ أيضا يا أمي، لا حرمني الله منكما.

قال كريم بسخرية:

ـ أشعر بالغثيان من تلك اللحظات العاطفية.

ضحك الجميع بما فيهم خديجة، بالرغم من قلبها الذي كان حزينا رافضا فكرة ابتعاد ابنتها عنها.

.....

ألح أدهم على كيان سرعة انتهائها من التحضيرات؛ لاتمام كتب الكتاب، فكانت تُسرع في إنهاء منزلهما، فقد اشترطت أمها أن لا تسافر قبل إنهاء منزلهما ليكن معد للسكن، وبسبب ذلك انشغلت فيه تماما، وقد حاولت أن تنتقي ثوب زفاف جيد ولكنها لم تجد، كم تمنت لو طلبت من أمها أن تحيك لها واحد بمواصفاتها الخاصة، ولكنها كانت تعلم جيدا أنها لن توافق، فقد وافقت على الزفاف بتلك السرعة على مضض؛ لذا لن تساهم في مساعدتها.

ذات يوم كانت خديجة تعمل بالمشغل، الذي يقع بالطابق السفلي بذات العقار الذي يقطنون فيه، كان ينقصها بعض الخامات، فطلبت من كيان أن تحضر لها الخامات من غرفتها بأعلى، دلفت كيان إلى غرفة خديجة، التي كانت محرمة عليها هي ومن بالمنزل جميعهم، كانت تلك الغرفة بمثابة عالم خديجة الخاص، تعد فيها التصميمات الجديدة ومن ثم تعمل عليها هي والعاملات بالمشغل بالطابق السفلي، لطالما كانت خديجة ماهرة في إعداد

التصميمات، وقد أعدت أكثر من ثوب رائع لكيان نفسها، مما جعل صديقاتها يغبطونها على أمها ومهاراتها في التفصيل.

بحثت كيان عن تلك الخامات فلم تجدها، همت أن تهاتف أمها لتسألها عنها، ثم تناهى لمسامعها صوت لشيء يرتطم بداخل الدولاب، اقتربت منه وهَمت بفتحه، تذكرت آخر مرة فعلت ذلك وهي صغيرة، وقتها أمها كدرتها بسبب فعلتها تلك، فتحته لتفاجىء بثوب زفاف مغلف بعناية بأسفل الدولاب، أمسكت به، انبهرت بتفاصيله وفخامته، شعرت أنها رأته من قبل ولكن لم تستطع تذكر متى كان ذلك، وقفت أمام المرآة وهي تحاول أن ترى كيف ستكون هيئته عليها، لم تنتبه لرنين الهاتف الذي ظل متواصلا بإلحاح، تساءلت عن سبب إخفاء أمها ذلك الثوب القيم عنها، ثم طرأ لها أن ترتديه لعله يناسب مقاسها، تعاملت معه بعناية كما لو أنه صغيرها، ارتدته أخيرا، نظرت نحو المرآة تشاهد نفسها، شعرت بالفخر لمظهرها الذي يشبه الأميرات؛ التي لطالما رأتهن بالتفاز فقط، ابتسمت وقالت تحدث الثوب: أين كنت مختفي عني، كم أنت رائع! لقد جئت في وقتك تماما، أنا لن أجد ثوب زفاف أفضل منك أبدا.

ثم دارت حول نفسها متباهية بمظهره الفخم، الذي أعطاها رونقا خاص، ثم فجأة سمعت أحد يهمس في أذنها: إنه يناسبكِ تماما.

نظرت حولها بدهشة، سألت نفسها: من أين أتى هذا الصوت؟

ثم دلفت أمها إلى الغرفة، عندما وقعت عينيها عليها وهي ترتدي ثوب الزفاف؛ نظرت نحوها بقلق، للحظة لم تستطع أن تفرق هل هي روح أم كيان، ارتعشت يديها ثم وقعت أرضا مغشية عليها.

****

الفصل الثالث

احتار حازم في أمر خديجة التي فقدت الوعي فجأة هكذا، وعندما سأل كيان لم ترح قلبه، لم يخطر على بالها أن تخبره؛ ان ذلك حدث بعدما شاهدتها بذلك الثوب.

رفضت خديجة أن تذهب إلى الطبيب، أو أن يحضر إلى المنزل، طمأنت الجميع أنها بخير حال وأن لا يقلقوا عليها، وطلبت منهم أن يتركوها لترتاح، حاولت أن تصفي ذهنها لكن الذكريات القديمة أبت أن تتركها لحالها.

دلفت كيان إلى غرفة أمها لتطمئن عليها، أحضرت معها كوب من عصير الليمون، تسللت دون إحداث صوت لئلا تزعجها لعلها تكون نائمة، اقتربت منها ورأت آثار الدموع على وجنتيها، كانت مغلقة العينين ولكنها تبدو مستيقظة، جلست إلى جانبها وربتت على كتفها بحنان وقالت:

ـ ماذا بكِ يا حبيبتي، مما تشكين أخبريني؟

زفرت خديجة بقوة وقالت:

ـ أنا بخير حال لا تقلقي

ـ هل يضايقك اقتراب موعد زفافي؟

ابتسمت وقالت بنبرة يغلفها الحزن:

ـ كل أم تريد أن تسعد بابنتها وتراها أجمل عروس، ولكن..

ـ ولكن ماذا؟

ـ يبقى هناك ألم الفراق الذي ينغص عليها معيشتها، هذا على الرغم من وجودها بنفس البلد، فما بالك ببلد أخرى بعيدة!

دمعت عين كيان، احتضنت أمها وقالت:

ـ أنا أيضا أحبكِ ولا أستطيع الابتعاد عنكِ، الظروف فقط هي من فرضت علينا هذا الوضع، ولكنه مؤقت أؤكد لكِ

ـ إن كان وضع مؤقت فلا بأس بذلك، ولكن حدثيني من هناك كل يوم فيديو.

ابتسمت وقالت:

ـ سأفعل بالتأكيد.

شعرت كيان بالراحة خاصة بعدما رأت أمها أصبحت أفضل، مما شجعها أن تسألها عن ذلك الثوب، فسألتها:

ـ أخبريني لمن ذلك الثوب الرائع الذي كنتِ تخفينه عني؟

اعتدلت خديجة وسألتها باهتمام:

ـ لقد ذكرتيني به، هل أعدته إلى مكانه؟

ـ نعم، ذلك الثوب بهرني بتفاصيله، هل أنتِ من فصلته؟

قالت بحزن:

ـ نعم، وكل تفصيلة به كانت بناء عن رغبة صاحبته.

سألتها باهتمام:

ـ ومن هي صاحبته، ولمَ لم تأخذه إلى الآن طالما هو مُنتهي؟

دمعت عينيها وقالت:

ـ لأنها ماتت.

شردت كيان واجتاحتها ذكرى وفاة جدتها روح، فقد رأت الحادثة بأم عينها وهي صغيرة، تذكرت أين رأت هذا الثوب من قبل ثم قالت:

ـ لقد تذكرت، إنه ثوب زفاف جدتي روح، لقد كنت أحبها حبا شديدا، لم أرى أحد في طيبة قلبها

ـ نعم بالفعل، وهي أيضا كانت تحبكِ كثيرا، لا تذهب إلى مكان إلا واصطحبتكِ معها، كانت تلاعبكِ وتهتم بكِ كما لو كنتِ ابنتها.

ابتسمت وقالت:

ـ أذكر مواقف قليلة جمعتني بها لأنني كنت صغيرة وقتها، وأتذكر أيضا أنها كانت هي أيضا شابة صغيرة، وكانت تطلب مني أن أناديها باسمها، فكنت أناديها روحي.

قالت خديجة وهي تجتر ذكرياتها الحزينة:

ـ لقد أنجبتها جدتي بعد أمي بعشرين عام، كانت سعيدة للغاية بها، لقد أفرطت في تدليلها؛ حتى جاءها نبأ وفاة ابنها الأكبر الذي كان يعمل ببلد عربي؛ وقتها لم تتحمل الصدمة فأصابها الشلل وبعدها بفترة ماتت، فتولت

تربيتها أمي ورحب أبي بذلك دون تردد، كان الفارق في العمر بيني وبين روح ثلاثة أعوام فقط؛ لذا كنا قريبين للغاية من بعضنا البعض.

بكت خديجة وهي تقول:

ـ لم تكن فقط بمثابة أختي، لقد كانت روحي وكأننا كيان واحد، وعندما فرقنا الموت تعبت كثيرا، ولم أستطع لملمت شتات نفسي؛ إلا بعد مرور وقت لا بأس به

ـ أذكر بعض من تلك الأيام، عندما حاول أبي أن يخرجك من تلك الحالة، وبعدها أصابكِ مرض السكري بسبب الحزن، لقد كانت أيام جد صعبة

ـ لم يكن الأمر هين عليّ بالمرة، فبعد أن ماتت روح ماتت بعدها أمي، لم أستطع تحمل غيابهما دفعة واحدة، ولكن ما هون عليّ الأمر هو أنتِ، فأنتِ كنتِ يوما بعد يوم تشبهينها أكثر.

ابتسمت كيان وقالت:

ـ إنه لشيء يشرفني أن أرث كل ذلك الجمال.

وضعت خديجة يدها على إحدى وجنتيها البضتين، نظرت نحو عينيها الخضراوين التي تذكرها بعينيّ روح، ثم أنزلت يدها وتبدلت ملامحها عندما استطردت كيان:

ـ وإنه ليشرفني أيضا أن أرتدي ثوبها الرائع يوم زفافي.

دق قلب خديجة بعنف، حاولت استجماع قوتها وقالت بحسم:

ـ لا يا كيان، ليس هذا الثوب

ـ أرجوكِ يا أمي، لقد مللت البحث عن ثوب مناسب لي، وأنتِ تعلمين جيدا أنه ليس هناك متسع من الوقت.

ظلت ملامحها جامدة تعبر عن رفضها فاستطردت:

ـ ألا تريدين رؤيتي سعيدة؟

نظرت نحوها بحب وقالت:

ـ نعم بالطبع، ولكن هذا الثوب يذكرني بيوم وفاتها

ـ أتعلمين، هي أيضا ستكون سعيدة لأنني سأرتدي ثوبها

ـ أتظنين ذلك؟

ـ نعم بكل تأكيد، فهي كانت تحبني كثيرا.

التزمت خديجة الصمت، فاعتبرت كيان ذلك موافقة ضمنية منها، وتعاملت على ذلك الأساس.

.....

عكفت كيان على إنهاء بيتها الجديد، تحت ضغوط من أدهم، الذي كان يستعجلها في كل مرة يتحدث معها، حاولت ارضاؤه قدر استطاعتها، ولكن بذات الوقت جاهدت أن يكون كل شيء كما ينبغي. في إحدى الأيام خرجت لتنهي بعض الأشياء في شقتها، توقفت أسفل العقار لتستقل سيارة أجرة، ثم لمحت نفس ذلك الشاب الذي رأته بالنادي، كان يجلس بسيارته على مقربة منها، ارتبكت واستقلت السيارة بسرعة، اندهشت وتساءلت في نفسها لماذا يراقبها؟ وقد بدأت تشعر بالقلق والتوجس منه.

عندما وصلت إلى شقتها تحدثت مع ريتاج، وطلبت منها أن تحضر لمساعدتها لوضع اللمسات الأخيرة، وأيضا كانت تريد أن تخبرها بما حدث معها؛ لعلها تساعدها في ذلك الأمر العجيب.

حضرت ريتاج وتحدثت معها، استمعت لها بتركيز، لطالما شعرت كيان بالراحة لأن يستمع لها أحد بتركيز دون أن يقاطعها، لعل السبب في ذلك أمها، التي ما تنفك تجادلها وتناوشها على أقل سبب، كل ذلك بدافع خوفها عليها، مما زاد حنقها من هذا الأمر.

عندما انتهت ضحكت ريتاج وقالت:

ـ أنا لا أصدق! إنه عاشق مُتيم بكِ، ولكنه حضر في وقت خطأ

ـ لا أعتقد ذلك، ينتابني إحساس أن هذا الشاب خلفه أمر آخر

ـ مثل ماذا؟ أنتِ شخصية مسالمة وليس لديكِ أعداء على ما أظن، وأيضا لستِ من الأغنياء ليخطفكِ ويطلب من أهلك فدية كبيرة، إلا إذا...

ـ إلا إذا ماذا؟

ـ إلا إذا يريد أن يسرق أعضاءك.

قالتها ثم ضحكت مما أثار غضب كيان التي قالت:

ـ ألا يمكنك أن تتحدثي بجدية أبدا؟

توقفت عن الضحك وقالت:

ـ ليس هناك أسباب أخرى يا عزيزتي، ولكن اطمئني فهو على ما يبدو لن يستطيع فعل شيء، فأنتِ ستسافرين برفقة زوجك الرائع قريبا.

ثم ابتسمت بمكر عندما دلف أدهم على ذكر اسمه، نظر حوله باهتمام وقال:

ـ هل قاطعت شيئا هاما؟

قالت ريتاج لتغير دفة الحديث:

ـ لا أبدا، ولكننا كنا نتناقش حول تغيير لون الستائر؛ لأنها تبدو غير ملائمة مع الصالون.

ما إن سمعها تقول ذلك سأل بعصبية:

ـ هل هذا صحيح يا كيان؟

ـ لم تنتبه كيان لحديثهما من الأساس فقالت دون وعي:

ـ نعم صحيح.

قال بغضب:

ـ إنها من اختيارك من الأساس، كيف تغير رأيك هكذا، ماذا دهاكِ، أنا لا أفهم لمَ لا تشعرين بي؟ الوقت يمر بسرعة وأنا تحت ضغط هائل وأنتِ هنا تضيعين وقتي في تلك الأشياء التافهة، مرة تتحججين بالثوب ومرة بالستائر ومرة بأوراق سفرك.

حاولت ريتاج أن تتدخل لتصحح خطئها فقالت:

ـ يا أدهم نحن كنا..

قاطعها بحدة:

ـ لقد أنهيت أوراق سفري بالفعل، فإن كنتِ تريدين إتمام تلك الزيجة تفضلي انتهي من كل تلك الترهات في الحال، فأنا لن أتحمل المزيد بسبب اهتماماتك التافهة.

قالها ثم غادر على الفور، وظلت كيان واقفة مكانها لا تعرف ماذا فعلت لكل تلك الثورة، اقتربت منها ريتاج، ربتت على كتفها وقالت نادمة:

ـ أنا آسفة، لم أكن أقصد أبدا أن يحدث كل ذلك.

دمعت عين كيان وقالت:

ـ إنني أضغط على نفسي من أجله، وهو لا يرى سوى تقصيري فقط، لا يشعر بي ولا بحيرتي، أحاول أن أسترضيه وأسترضي أمي من جهة أخرى، لا أجد الوقت حتى لأفكر في نفسي وحالي.

احتضنتها ريتاج وحاولت أن تخرجها من تلك الحالة، عرضت عليها أن تتمشيا على النيل لأنها كانت تحب أن تشاهد مياهه الصافية لتهدأ نفسها، ذهبا بالفعل إلى هناك ولم تحاول أن تتحدث معها لئلا تزيد همها، ولكن بداخلها تحمل الكثير من التساؤلات حول صبر صديقتها على هذا الأدهم، على الرغم من انطفاء روحها وهي معه يوما بعد يوم.

وصلت ريتاج كيان إلى منزلها وودعتها، ثم دلفت الأخيرة إلى بهو العقار، سمعت وقع أقدام خلفها فلم تلتفت، طلبت المصعد فهبط على الفور، دلفت إليه وصعد بها طابق ثم الآخر ثم توقف، فتح أحدهم المصعد ثم هم

بأن يدلف إليه، انتبهت أنه نفس ذلك الشاب المترصد لها، شعرت بالقلق، في حين هو لم يخفض بصره عنها، وظل ينظر نحوها نظرات غير مفهومة، هم بأن يغلق باب المصعد، فتنبهت سريعا وتذكرت زجاجة العطر التي كانت لا تفارق حقيبتها، تناولتها بسرعة وفور أن التفت لها؛ رشت منها صوب عينيه، لم ترتاح إلا عندما أنهتها كلها، ثم فرت مسرعة من المصعد وهي تسمع تأوهاته المكتومة من وجع عينيه.

دلفت إلى منزلها وقلبها يعلو ويهبط من شدة الخوف، حمدت الله أن أمها لم تكن موجودة وإلا لم تكن لتتركها حتى تعلم ماذا ألم بها، وبالطبع فور أن تعرف لن تتركها لتخرج من المنزل وحدها مرة أخرى، كانت تعلم أن والدها في مثل ذلك الوقت بالجامعة وكريم بالدرس، لقد أرادت بشدة أن تبوح لأحد بما حدث معها لعل قلبها يهدأ قليلا، همت بإخراج هاتفها من حقيبتها لمحادثة والدها، ولكنها توقفت عندما سمعت وقع أقدام بالقرب من باب الشقة، ابتعدت عنه في فزع، ثم تناهى إلى مسامعها صوت المفتاح وهو يلج في فتحة الكالون، لاحظت أن المفتاح لا يستجيب، لكن من يحاول فتح الباب أدخل المفتاح في الكالون بعصبية، أرادت أن تتحرك وتغلق الباب بالقفل أو تتصل بأحد لينجدها لكنها تجمدت مكانها، لم تستطع تحريك أطرافها، ثم تعاظم خوفها أضعافا عندما استجاب المفتاح أخيرا وفُتح الباب؛ لتقع مغشية عليها من هول الصدمة قبل أن ترى من يحاول فتح الباب.

الفصل الرابع

جلست خديجة وحدها بعد أن أنهت تصميم ثوب لإحدى الزبائن، ثم تركت باقي العمل إلى الفتاتان اللتان تعملان معها، لم تكن بمزاج يسمح لأن تكمل العمل، حيث كلما همت بفعل شيء؛ تذكرت تلك اللحظة عندما رأت كيان وهي ترتدي ثوب روح، وقتها لم تتحمل ما رأته، أن ترى ذلك الثوب على أحد آخر سوى روح، لقد كان يليق بها فحسب، ولكن هي لا تنكر أنه كاد أن ينطق من الجمال وهو على جسد كيان وكأنهما روح واحدة.

انتبهت خديجة من شرودها على دخول صديقتها فريدة التي قالت:

ـ كيف حالكِ يا أعز صديقاتي؟

قالتها بتهكم فابتسمت خديجة وقالت:

ـ آسفة، لقد انشغلت عنكِ الفترة الماضية رغما عني.

سألتها معاتبة:

ـ وما السبب تلك المرة؟

ـ لقد كنت متعبة قل..

لم تكمل فقد أسرعت فريدة نحوها وقالت بقلق:

ـ ماذا حدث، مما تشكِ، هل ذهبتِ إلى الطبيب؟ أخبريني ولا تخفي عني أي شيء.

ابتسمت خديجة فهي لا تصدق أن هناك من هو أكثر منها قلقا، وكأنهما توأم رد فعلهما واحد، قالت لها:

ـ لا تقلقي أنا بخير الآن.

نظرت لها بشك ثم قالت:

ـ لا لستِ بخير، ماذا بكِ، هل ضايقكِ أحد؟

زفرت بقوة وقالت:

ـ لقد رأيت روح.

سألتها باستنكار:

ـ من؟

ـ دخلت إلى غرفتي فوجدت كيان ترتدي ثوب زفاف روح، كانت وكأنها هي تماما، لم يتحمل قلبي رؤية هذا المشهد فوقعت مغشية عليّ.

اقتربت منها واحتضنتها، قالت لها:

ـ أمازلتِ تذكرينها بعد كل تلك السنين؟

ترقرقت الدموع بعينيها وهي تقول:

ـ لم أنساها يوما، لقد كانت بمثابة شقيقتي، لقد حيكت لها ذلك الثوب بنفسي

ـ رحمها الله، لا ألومك فأنا أيضا لازلت أتذكرها

ـ إنني أحاول أن أتماسك لأجل أسرتي صدقيني، ولكن بداخلي حزن كبير يغلب على مشاعري كلها، وما زادني حزنا وضيقا؛ أن كيان طلبت مني أن تستعير الثوب لتحضر به زفافها

ـ ألم تجد غيره؟

ـ أخبرتني أنها بحثت كثيرا ولم تجد ما يرضيها، وعندما رأت ثوب روح فُتنت به، أخشى أن أوافق على طلبها يا فريدة

ـ معكِ حق إنه نذير شؤم

ـ هذا..

قاطعها رنين هاتفها المتواصل فردت لتجده كريم الذي قال بقلق:

ـ أمي ساعديني أرجوكِ، كيان وقعت مغشية عليها ولا أعرف ماذا أصابها.

صرخت فيه:

ـ ماذا؟

قالتها ثم أسرعت لتصعد إليهما، كانت في عقبها فريدة التي لم تكن أقل قلق وخوف منها.

.....

لم تشعر خديجة بنفسها وهي تهرول على السلم وقد حاولت فريدة اللحاق بها بعد أن رأت المصعد مشغولا، دلفت الاثنتان إلى المنزل في عجلة؛ لتجد كلتاهما كيان وهي ترقد فوق الأرض وكريم إلى جانبها يحاول إفاقتها،

جلست خديجة بجوارها تتحسس نبضها في حين هرعت فريدة لتأتي برائحة نفاذة، أخذت خديجة تردد:

ـ كيان حبيبتي، ماذا حدث لكِ؟

قال كريم بصعوبة:

ـ فور أن دلفت إلى المنزل وقعت مغشية عليها، لا أعرف ماذا حدث لها لتقع هكذا.

جاءت فريدة واقتربت منها، قربت زجاجة العطر من أنفها لتستفيق وبعد برهة بدأت كيان تحرك رأسها، أسندت خديجة رأسها واجلستها نصف جلسة، بدأت كيان تفتح عينيها ثم نظرت نحوهم، سألت مندهشة:

ـ ماذا بكم، لمَ أنتم مذعورين هكذا؟

قال كريم:

ـ لقد أرعبتيني، ماذا حل بكِ ليغشى عليكِ هكذا؟

حاولت تذكر ما حدث، ثم نظرت نحو الباب بفزع وقالت متلعثمة:

ـ لقد.. لقد كان هناك شخص يطاردني فرششت زجاجة العطر على عينيه، وأسرعت بالهروب منه، دلفت إلى هنا فت.. تبعني وحاول فتح الباب، لقد فتحه بالفعل ورأيت..

نظرت نحو كريم الذي نظر لها متوعدا وقال:

ـ ثم رأيتيني.

ثم نظر نحو البقية وقال:

ـ لم يكن هناك أحد، يبدو أنها كانت تتوهم ذلك.

قالت مؤكدة:

ـ لا لا لقد كان هناك شخص يطاردني بالفعل.

ثم أمسكت بحقيبتها وأخرجت منها زجاجة العطر وقالت:

ـ أنظروا إنها فارغة، أنا لا أتوهم.

قالت خديجة بغضب:

ـ هل هذا ما أوصيتك به، لقد طلبت منكِ أن لا يغادر رذاذ الفلفل حقيبتك لمثل تلك الأمور الطارئة

ـ يا أمي..

قاطعتها فريدة:

ـ أين إجراءات الحماية التي نتلوها عليكِ دوما؟

نظرت نحوهم لا تدري ماذا تقول، لقد كانت فريدة ليست مجرد صديقة لأمها فقد كانت بمثابة شقيقة لها، ونظرا لأنها لم يرزقها الله بالأطفال لذا اعتبرت كيان وكريم ابنائها، كانت تحبهما وتدللهما وتخشى عليهما مثل خديجة بالضبط، مما زاد من حنق كيان التي ضاقت ذرعا منهما الاثنتين.

سألها كريم:

ـ من هذا الشخص من الأساس؟

قالت على الفور:

ـ لا أعرفه، أقصد أعرفه.

سألتها خديجة بغضب:

ـ من هو أخبريني؟

ـ لقد رأيته من قبل في النادي، كان ينظر نحوي بفضول و..

التزمت الصمت ولم ترد أن تخبر أمها أنها رأته أسفل العقار بعدها، كانت تتنبأ بردة فعلها، وأنها ستنهرها لأنها لم تخبرها بذلك من قبل، قالت بعد برهة:

ـ أنا لا أعرفه.

نهضت خديجة وقالت بعصبية:

ـ هيا لنبلغ الشرطة بما حدث.

استوقفها كريم قائلا:

ـ بما ستخبريهم؟ إنها لا تعرف عن هذا الشخص شيئا.

قالت فريدة:

ـ ولكنها تعرف ملامحه وتستطيع وصفه، هذا الرجل يجب أن يقف عند حده، هيا يا كيان لتأتي معنا إلى قسم الشرطة.

أرادت كيان الاعتراض ولكنها خشيت من ردة فعل أمها؛ لذا وافقتهما وذهبت بصحبتهما.

.....

عندما عاد حازم إلى المنزل أخبره كريم بما حدث، شعر بالقلق ولكنه اطمئن لتصرف خديجة، كان أكثر ما يخشاه هو حصار خديجة لكيان بعد

تلك الحادثة، فهو يعلم جيدا كم هي شديدة القلق ومن دون حدوث شيء، فما بال بعد أن حدث شيء كهذا.

حبست خديجة كيان في المنزل ومنعتها من الخروج كما توقع حازم، وضاقت كيان ذرعا بأفعال أمها، ولكن أكثر ما أثار ضيقها هو أدهم، فعندما أخبرته بما حدث معها توقعت أن يهتم ويحضر على الفور ليطمئن عليها، ولكنه خذلها عندما سأل عنها عن طريق الهاتف فقط، أيضا طلب منها أن تتعجل في تحضيرات الزفاف نظرا لضيق الوقت، لقد كان ينقصها بالفعل الكثير من الأشياء فعرضت خديجة أن تساعدها وتنجز هي وفريدة باقي الأشياء معها، انتهزت كيان الفرصة وألحت عليها أن تستعير ثوب زفاف جدتها، بحجة أنها لا تستطيع النزول لاختيار غيره فوافقت مرغمة، كانت تشعر بالضيق بسبب ذلك ولكن كان أمان كيان هو شغلها الشاغل وقتها.

أرسلت كيان ثوب الزفاف إلى المغسلة، على الرغم من أن رائحته كانت ذكية تشع منه المسك، لكن لونه باهتا بعض الشيء، أعاده لها العامل بعد تنظيفه وكيه فتفحصته بعناية تحسبا لأي خطأ ناجم عن التنظيف، وجدته كما هو، ولكن ظلت الرائحة عالقة به؛ إلى درجة أنها شكت أنه لم يتم تنظيفه من الأساس، لكنه كان بالفعل ناضرا بسبب مهمة التنظيف، قررت أن تعلقه في الشرفة لعل الهواء يُذهب تلك الرائحة، فعلت ذلك ودلفت إلى الغرفة وشرعت تتحدث مع ريتاج وتخبرها بما حدث معها.

بعد قليل أتاها اتصال من سمر جارتها بالشرفة التي أمامها، في حين كانت مشغولة بالحديث مع ريتاج، خرجت إلى الشرفة ووجدت سمر تنظر نحوها بفزع، فتركت الهاتف وسألتها:

ـ ماذا هنالك يا سمر؟

أشارت سمر نحو الثوب الذي انتفخ بالهواء وأخذ يتحرك يمينا ويسارا وكأن أحد يرتديه، نظرت كيان إليه غير مصدقة ثم عاد كما تركته، نظرت نحو سمر بفزع وسألتها:

ـ هل تحرك بفعل الهواء أم..

قالت سمر بخوف:

ـ لا بل كان يتحرك وكأن روح تسكنه.

نظرت لها غير مصدقة ثم أخذت جملتها تتردد في أذنها: "وكأن روح تسكنه" لم تشعر كيان بنفسها وهي تدلف إلى الداخل بسرعة وتصرخ وتقول:

ـ أمي.. أمي ثوب الزفاف تسكنه روح.

نظرت لها خديجة في بادىء الأمر بعدم فهم، ولكن عندما أعادت كيان عليها القول؛ استدركت أمرها ثم جلست على أقرب مقعد وهي تمسك رأسها بسبب الدوار المفاجىء الذي أصابها، ثم رددت بصوت خفيض استطاعت كيان أن تسمعه بصعوبة:

ـ لقد تكرر الأمر.

الفصل الخامس

انشغلت كيان بمرض أمها بعد أن أصابها غيبوبة سكر، ظلت إلى جانبها تلاحظها وتعطي لها الدواء كما أخبرها الطبيب، لم تكن تلك المرة الأولى التي تصاب فيها بها، فقد كانت خديجة من أقل سبب؛ فريسة سهلة للمرض على طبقٍ من فضة.

عندما حضرت فريدة طلبت من كيان أن تسترح هي قليلا وجلست هي بصحبتها، فور خروجها من غرفة أمها سمعت رنين هاتفها، أجابت على الفور عندما رأت رقم أدهم، بادرها بعصبية:

ـ أين كنتِ، ولماذا لا تردين على هاتفك؟ لقد اتصلت عليكِ ما يقارب العشر مرات.

كانت سعيدة باهتمامه بها فسألته برقة:

ـ هل اشتقت إليّ؟

قال بغلظة:

ـ أنا في وادٍ وأنتِ في وادٍ آخر، لقد اتصلت لأعرف هل انتهيتِ من تحضيراتك السخيفة، وأيضا هل أحضرتِ جواز السفر أم لا؟

تضايقت من أسلوبه الفظ فقالت بعصبية:

ـ لا لم أفعل، وذلك لأن أمي مرضت بشدة وأنا كنت أجلس إلى جانبها وألاحظ حالتها.

لانت حدته قليلا وهو يقول:

ـ آسف لم أكن أعرف، لماذا لم تخبريني من قبل؟

ـ لأننا كنا مشغولين معها، وقبلها كنت مشغولة بأمر التجهيزات وثوب الزفاف.

ابتهج وقال:

ـ هل ابتعتِ واحدا؟

ـ لا، لقد استعرت ثوب جدتي

ـ جيد جدا هكذا لم يعد ينقصك سوى استلام جواز السفر.

أرادت أن تخبره بأمر ذلك الثوب العجيب والذي لم تعد مرحبة بفكرة ارتدائه، لكنها آثرت ألا تفعل، انتظرت منه أن يخبرها أنه سيحضر للاطمئنان على أمها لكنه خيب أملها كالعادة، كانت تعلم جيدا أنه ليس من هؤلاء البشر الذين يجيدون الاجتماعيات والمشاعر، ولم تكن تعاني من تلك المشكلة، بل ذات يوم أخبرت ريتاج أنها أعجبت به لأنه شخص عملي بحت، لكنها الآن بدأت تتذمر منه؛ بل وتخشى أن يؤثر ذلك على حياتهما معا.

.....

لم تحاول كيان أن تتحدث مع أمها عن أمر الثوب مرة أخرى، خاصة بعد ردة فعلها الأخيرة، وأيضا لم يعد هناك قلق من ناحيته، فلم يصدر عنه شيء آخر مريب.

كان عليها في هذا اليوم أن تنزل بنفسها لاستلام جواز السفر، انتهزت فرصة أن فريدة كانت بصحبة أمها فأخبرتها أنها ستخرج وتعود من فورها ولن تتأخر، فور أن أغلقت باب الشقة اتجهت إلى المصعد، ضغطت على الزر لاستدعائه وبعد قليل حضر، ثم فتحت بابه لتجد أمامها ذلك الشاب الذي كان يطاردها، عندما وقع بصرها عليه؛ ارتعبت وهمت بفتح حقيبتها، أعقبتها بصراخها المتواصل تستنجد بأحد لينقذها منه، حاول هو بشتى الطرق تهدئتها قائلا:

ـ يا آنسة أنا لن أؤذيكِ أبدا، لماذا تفعلين معي هكذا؟

في محاولة يائسة منه، أمسك بيدها ليمنعها من محاولة رش العطر على عينيه كما بالمرة السابقة، فصرخت بقوة أكثر، ثم حضر على إثر صراخها فريدة وأمها التي تحاملت على نفسها وهي فزعة خوفا على ابنتها، أمسكت كلاهما بتلابيب الشاب الذي حوصر من كل جهة، وطلبت فريدة من كيان أن تهاتف الشرطة، فقال لهما مترجيا:

ـ ليس هناك داع، ماذا فعلت لكل تلك الثورة؟

خرجت سيدة من إحدى الشقق عندما سمعت تلك المشاجرة، هرولت نحو الشاب وسحبته من بين براثنهما وقالت بحدة:

ـ ماذا تريدون من ابني؟ اتركوه لحاله يا مختلين.

هتف الثلاثة في نفس اللحظة بتعجب:

ـ ابنك!

ـ نعم ابني.

ثم مررت يدها على وجهه وكتفه بلهفة وهي تقول:

ـ هل أنت بخير، ماذا فعلوا بك أجبني؟

قال على الفور ليهدئها:

ـ أنا بخير حال لا تقلقي.

نظرت نحوهم بشراسة كأنثى الأسد التي خطفوا وليدها للتو، وسألتهم بعصبية:

ـ ماذا تريدون منه؟

لم تستطع إحداهن النطق، وبعد برهة استجمعت فريدة شجاعتها وقالت بتحدي واضح:

ـ بل ماذا يريد ابنك من ابنتنا، سليه لماذا يتعقبها؟

نظرت السيدة نحو الشاب وسألته بعدم تصديق:

ـ هل هذا صحيح يا يوسف؟

زفر بقوة وقال:

ـ لا أبدا.

هنا تجرأت كيان واقتربت منهما وقالت بتحدي:

ـ أنت كاذب، لقد كنت تتبعني من النادي إلى هنا.

قال مدافعا عن نفسه:

ـ لقد رأيتكِ بالنادي صدفة، وأنا لم أكن أتبعكِ لسببٍ بسيط هو أنني أقطن هنا.

فتحت فمها ببلاهة وقالت:

ـ تقطن هنا؟

ـ نعم مع أمي

ـ ولماذا لم تخبرني بذلك؟

ـ وهل أعطيتني فرصة، لقد رششتِ العطر على عيني فور رؤيتك لي.

شهقت والدته وقالت باستنكار:

ـ هل تلك الفتاة هي من فعلت بك هذا؟

تراجعت كيان خطوتين للخلف عندما اقتربت منها والدته، وقالت بتحدي:

ـ لن يرحمكِ من يداي أحد.

أسرعت كل من خديجة وفريدة ووقفا قبالتها، وقالت خديجة بتحدي:

ـ أريني ماذا ستفعلين لها؟

تدخل يوسف لينهي تلك الحرب قبل بدءها وقال:

ـ لا تعطوا للموضوع أهمية أكبر من حجمه، أنا أُسامح الآنسة لأنها كانت تجهل أنني جارها.

ثم نظر نحوها وقال بصوتٍ خافت، استطاعت هي فقط أن تسمعه:

ـ كيان، يوسف، سارة، أصدقاء إلى الأبد.

ابتسمت عندما تذكرت كلماته، التي كانوا دوما يرددونها وهم صغار، كانت ذكريات جميلة لولا أنهم تفرقوا.

همت أن تقول له شيئا فقاطعتها فريدة التي قالت:

ـ هيا بنا يا حبيبتي لندخل إلى شقتنا.

غادرت معهما وهي لا تبارح النظر إليه، تداركت ملامحه أخيرا؛ والتي لم تكن مختلفة عما كان عليه وهو صغير، نفس البشرة المائلة للسمرة والعينين العسليتين الرائقتين والأنف الدقيق، همست له من بين شفتيها: أنا آسفة.

وفي المقابل أخذت السيدة ابنها من يده، وهي تجره جرا نحو شقتهما هما أيضا.

.....

قلت حدة قلق خديجة على كيان، بعد أن علمت بسوء الفهم الذي حدث مع جارهم، لكنها طلبت منها بشكل صريح أن تبتعد عن هؤلاء الجيران؛ نظرا لأنها تتشاءم منهم، فقد صادف مجيئهم إلى عقارهم يوم وفاة روح، من بعدها تشائمت خديجة منهم وتجنبت التعامل معهم، بل وقد حاولت مع زوجها أن يطردهم من العقار لكنه رفض طلبها؛ لأن ببساطة أسبابها كانت واهية وأيضا لم يرى منهم ما يجعله أن يطردهم من بيته، فوافقت خديجة في

النهاية على مرافقة هؤلاء الجيران، ولكن طلبت من كيان أن تبتعد عن ابنائهم، وقد حاولت كيان الابتعاد عنهم بالفعل لكنها كانت تشعر بوحدة شديدة، وتحتاج لوجود أطفال في مثل عمرها؛ لتشاركهم اللعب، صادف وقتها أن والدتها كانت حاملا في كريم، لذا انتهزت فرصة انشغال أمها ذات يوم ولعبت بصحبتهما على الدرج، كانت مستمتعة باللعب معهما كثيرا؛ لاسيما يوسف الذي كان يكبرها بعامين ويتميز بالفم الضاحك وسخريته المعهودة، اعتادت عليهما وأصبحت سارة شقيقته صديقتها الصدوقة ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث ذات يوم كانت تلعب بصحبتهما، ودفعها يوسف أثناء اللعب مما أوقعها أرضا فصرخت وأخذت تبكي، سمعتها أمها التي كانت تعمل في مشغلها، هرعت إليها وعندما رأتها وهي تبكي لم تعطي لأحد فرصة، تشاجرت مع يوسف ولم تدخر من تأنيبه شيئا، حاول الاعتذار لها لكنها صدته وقالت لابنتها بشكل صريح: لقد حذرتك أن تلعبي معهما، إياكِ ثم إياكِ أن تكرريها مرة أخرى.

منذ وقتها لم تلعب معهما مرة أخرى، وكانت كلما رأت أحدهما صدفة كانت تشيح بوجهها بالجهة الأخرى، هذا على الرغم من حزنها على تلك القطيعة التي حدثت بينهم، ومرت الأيام والسنين ولم تعد تراهم نظرا لسفرهم واستقرارهم ببلد عربي، ولكنهم كانوا يعودون إلى مصر في زيارات قليلة؛ يقضون معظمها مع الأهل والأصدقاء، مما أراح قلب خديجة كثيرا.

.....

حان ميعاد استلام كيان لجواز السفر؛ الذي كان ينتظره أدهم على أحر من الجمر، في ذلك اليوم نزلت من منزلها وهي مسرعة، فقد استيقظت متأخرة بالرغم من أن أدهم حذرها أن تذهب مبكرا.

أسرعت نحو المصعد لتصادف يوسف، ألقت عليه التحية ولم تستطع منع نفسها من الابتسام عندما لاحظت ارتيابه عندما فتحت حقيبتها، ابتسم هو الآخر عندما أخرجت منديلا ورقيا فقال:

ـ حمدا لله أنه ليس عطر.

ابتسمت بخجل، شعرت أنه يود أن يتحدث معها فلم تمهله، أسرعت بالخطى عندما وصل المصعد إلى الطابق السفلي، اندهشت عندما لاحظت أنه يسرع خلفها وهو ينادي عليها:

ـ آنسة كيان.. آنسة كيان.

توقفت ونظرت خلفها بضيق وقالت:

ـ ماذا هنالك؟

شعرت بالغرابة وهو يقترب منها ويقول بهمس وهو خجل:

ـ ملابسك.. أقصد..

ضاقت من أسلوبه فسألته بعصبية:

ـ ما بها ملابسي؟

احمر وجهه خجلا وهو يقول:

ـ هناك بقعة حمراء بالخلف.

امتقع وجهها وسألته ببلاهة:

ـ أين؟

ـ في ثوبك.

شعرت بالسخونة تجتاحها وتلون وجهها خجلا، نظرت بسرعة في المرآة التي كانت تتوسط بهو العقار، تمنت لو كانت مزحة سخيفة ومن ثم تأهبت لتوبيخه، لكن خاب ظنها عندما لاحظت تلك البقعة التي كانت جلية للنظر، شعرت بالإحراج وخجلت بشدة، اندهشت وتمتمت: من أين أتت تلك البقعة؟

تنحنح يوسف خجلا، ثم قال عندما لمح أحد يدلف إلى بهو العقار:

ـ لا تقلقي سأقف خلفكِ حتى لا يلاحظ أحد شيئا، هيا لتصعدي إلى شقتك.

وبالرغم من موقفه النبيل لم تحاول شكره، بل ندمت أشد الندم أنه هو من دون كل قاطني العقار من لاحظ تلك البقعة، عندما رأتها أمها سألتها بدهشة:

ـ لمَ عدتِ، هل نسيتِ شيئا؟

ولتها ظهرها وهي تقول:

ـ لا، ولكن انظري وأنتِ تعرفين.

نظرت خديجة وسألتها بدهشة:

ـ ماذا هنالك؟

ـ ألم تلاحظي تلك البقعة السخيفة، لا أعلم من أين أتت؟

ـ أين هي؟ أنا لا أرى شيء.

أسرعت نحو المرآة لتراها فلم تجد لها أثر، قالت بدهشة:

ـ ولكنه رآها وأنا أيضا رأيتها

ـ من هو؟

ـ جارنا محور الخلاف السابق، لقد لاحظ تلك البقعة، وهو من نبهني فصعدت من فوري لأبدل ملابسي

ـ تبدو لي مزحة سخيفة

ـ ولكني رأيتها بأم عيني، كيف حدث ذلك؟

ـ لابد أنه سحر.

لم تقف كيان عند كلمتها كثيرا، وذهبت لتبدل ملابسها، فقط لتشعر بالراحة، ثم خرجت مسرعة لتلحق بمصلحة الجوازات، عندما وصلت إلى هناك كانوا قد أنهوا عملهم فشعرت بالضيق، ولم تعرف ماذا ستقول لأدهم الذي يلح عليها كل يوم لتسرع بإنهاء كل شيء ليسافرا معا، وعندما تحدثت معه وبخها وقال لها بكل صراحة:

ـ أنا أشعر أنكِ متعمدة أن تؤخري سفري

ـ وما الذي سيجعلني أفعل ذلك؟

ـ لا أعلم ولكني سقمت من أفعالكِ ولم أعد أحتمل

ـ يا أدهم صدقني ليس بيدي

ـ كل مرة تقولين ذلك، لقد بت أشك أنكِ تريدين الزواج مني

ـ شكك في غير محله، ولكن ظروفي صعبة كما ترى

ـ أنا أرى أن أسافر وحدي، وعندما تكوني مستعدة للزواج أخبريني.

أنهى حديثه بعصبية وتركها تشعر بالغضب والإهانة بسبب ما قاله، لم تعرف لمَ التزمت الصمت ولم ترد عليه؟ اتخذت قرارها في لحظة، التقطت الهاتف مرة أخرى وهمت أن تحدثه فإذا بها تسمع صوت بداخل دولاب ملابسها، شعرت بالخوف واقتربت منه بريب، تكرر الصوت فانتفضت وحاولت مقاومة خوفها ثم أمسكت بمقبض الدولاب و. وفتحته.

****

الفصل السادس

جلس يوسف خلف مكتبه شاردا، كان مكتبه رغم بساطته إلا إنه يشي بالفخامة، لقد ساعده والده في فتح ذلك المكتب وجهزه معه يدا بيد، فقد عقد شراكة بينه وبين صديق عمره مصطفى، هو برأس المال وهما بمجهودهما، كان يثق في ابنه كثيرا ويعلم كم هو إنسان طموح؛ لذا لم يبخل عليه بشيء.

كان فوق المكتب ملف قضية هام، قد تركه له والده ليراجعه، لم يلقى بالا له، لقد كان وكأنه في عالم آخر، دخل عليه مصطفى؛ عندما وجده لم يشعر بوجوده سأله بسخرية:

ـ ما بك يا صديقي، هل وقعت في الحب أم ماذا؟

انتبه يوسف من شروده وقال:

ـ مصطفى، منذ متى وأنت هنا؟

ضحك وقال:

ـ ألهذه الدرجة أصابتك سهام الحب في مقتل؟

نهض يوسف من خلف مكتبه ثم جلس أمامه وقال:

ـ أنت حقا لا تُطاق، ما بك اليوم؟

ـ أنا ليس بي شيء، أنت من لست على ما يرام منذ فترة، والسبب يعلمه الله.

بعد تفكير قصير قال يوسف:

ـ لقد تعرضت اليوم لموقف سخيف للغاية.

سأله بلهفة:

ـ ما هو أخبرني؟

أخبره بذلك الموقف الذي حدث بينه وبين كيان ولم يسلم من سخريته وضحكه، كانت تلك طبيعة مصطفى، وعلى الرغم لمعرفته الوطيدة به إلا إنه لا يزال يضيق ذرعا من تصرفاته تلك، قال له:

ـ ما الذي يضحكك إلى هذه الدرجة؟

ـ الموقف نفسه محرج وغريب للغاية، وأنت لم تعالجه بما يجب

ـ لم أجد حل آخر أمامي لأنبها، وبدلا من أن تشكرني على فعلتي عاملتني بجفاء واضح

ـ معذورة، فاليوم ليس يوم حظها.

شرد يوسف وقال:

ـ ولكنه كان يوم حظي أنا، فأنا تمنيت أن أراها اليوم، كنت أتخيلها ترتدي ثوب أزرق يزيد من شعاع وجهها المضيء، هي الوحيدة من بين الناس بعيونها الخضراء التي يليق بها اللون الأزرق، إنه عليها ساحر للغاية

ـ أخبرني، متى تعلمت الشعر يا صديقي؟

ـ منذ أن رأيتها

ـ تقصد المرة الأولى بالنادي؟

ـ لا، بل منذ خمسة عشر عام تقريبا

ـ ماذا؟

ـ أنا كنت أعرف كيان منذ نعومة أظافرنا، كانت تجمعنا صداقة أنا وهي وشقيقتي، ولكن مع الأسف تفرقنا فجأة، ابتعدت عنا دون سبب واضح

ـ وهل مازلت تذكر مشاعر الطفولة تلك؟

ـ بل مشاعر المراهقة، تفرق كثيرا صدقني يا مصطفى

ـ طالما أنت معجب بها هكذا تقدم لخطبتها.

تبدل وجهه حزنا ثم قال:

ـ هذا غير ممكن مع الأسف لأنها مخطوبة بالفعل

ـ ما هذا الحظ؟

ـ لا أعلم كيف كنت أتخيل أن أعود من سفري لأجدها تنتظرني، كم كنت أبله!

ـ لا عليك يا صديقي، سيرزقك الله من هي أفضل منها.

التزم يوسف الصمت ولسان حاله يقول: لن أجد من هي أفضل منها.

.....

عندما فتحت كيان دولاب ملابسها وجدت كل شيء كما هو، نظرت بريب نحو الثوب، أمسكت به بعناية فألحت عليها فكرة أن ترتديه ففعلت، أخذت تتأمل نفسها في المرآة بإعجاب، لم ترى نفسها بمثل هذا الجمال من قبل، تساءلت في نفسها: تُرى هل كان جميلا أيضا على جدتي هكذا؟

تلاحقت عليها ذكرياتها معها، تذكرت عندما كانت تدللها أكثر من أمها نفسها، كانت تصطحبها إلى الملاهي وتأتي لها بأشهى الحلويات، مما كان يغيظ أمها بسبب تلك الأفعال خوفا من إفسادها، دمعت عينيها على إثر تلك الذكريات، ثم نظرت نحو المرآة نظرة أخيرة قبل أن تخلعه عنها، إلا إنها توقفت عن ذلك عندما رأت أمامها في المرآة جدتها روح وهي آية في الجمال، كذبت عينيها وفركتهما لتتأكد مما تراه، رأتها تنظر لها بثبات ثم قالت لها بجدية تامة:

ـ إياكِ أن تتزوجي من هذا المتعجرف الفظ.

تسمرت كيان مكانها، ثم تساءلت: تُرى هل جننت؟

قالت روح:

ـ أنتِ بخير حال وما ترينه الآن حقيقة وليس خيال.

لم تصدق كيان ما تراه ثم فقدت الوعي على الفور. استيقظت بعد قليل ثم نظرت حولها برعب؛ لتجد صورة جدتها لازالت بالمرآة، همت بالفرار من غرفتها وتحت وطأة رعبها انكفأت على وجهها، عندما رفعت رأسها وجدتها تقف أمامها، بكت خوفا ورددت:

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

تبدل وجه روح للعبوث وقالت لها معاتبة:

ـ معاذ الله، كل هذا الجمال الملائكي وتشبهينني بالشيطان!

تراجعت كيان إلى الخلف زاحفة فنهرتها:

ـ توقفي ستفسدين ثوبي الثمين.

قالت كيان بخوف:

ـ مؤكد أنا أحلم، أم ما يحدث معي تهيؤات؟

ـ لا هذا ولا ذاك، إنه أنا بكل بساطة، روحي، هل تذكرين عندنا كنتِ صغيرة تناديني بروحي؟

أومأت كيان برأسها بخوف وحاولت الوقوف بصعوبة، اقتربت من الباب ببطء وهمت أن تفتحه ولكنها توقفت عندما قالت روح:

ـ ستهربين مني مجددا أليس كذلك؟ لا بأس تفضلي، لكن رجاء لا تذهبي لتستنجدي بعزيزتي خديجة؛ لأن قلبها ضعيف ولن يتحمل.

قالت كيان بآلية:

ـ نعم بالفعل، في المرة السابقة تعبت كثيرا.

جلست على الكرسي الوحيد بالغرفة وقالت:

ـ إنها كما هي لم تتغير، وكأن الأيام والليالي لم تؤثرا فيها.

نفضت كيان عنها فكرة الهروب، اقتربت منها بحذر وقالت:

ـ أنا لا أصدق فكرة أنني أراكِ وأتحدث معكِ!

ـ أمكِ أيضا لم تصدق حينما ظهرت لها في المرة الأولى

ـ هل ظهرتِ لأمي من قبل؟

ـ نعم، ولقد قررت وقتها أنني لن أفعلها مرة أخرى، بسبب ردة فعلها

ـ أعلم إنها تهول الأمر

ـ لذلك لم أستطع التواصل معها

ـ جدتي أخبريني أرجوكِ لماذا تظهر روحك لنا؟ أنا حقيقي مندهشة!

ضيقت ما بين حاجبيها وقالت بجدية شديدة:

ـ لا تناديني جدتك، الفارق بيننا في العمر ليس بكبير إلى هذه الدرجة

ـ حسنا أنا آسفة، هل من الممكن أن تجيبيني على سؤالي؟

زفرت بقوة وقالت كمن يزيح هم كبير عن كاهله:

ـ أنا لم أمت في حادثة عادية كما يظن الجميع، لقد كانت الحادثة مقصودة وتم قتلي عمدا.

سألتها بدهشة:

ـ ماذا؟

ـ كما أخبرتكِ

ـ ولكن ما الذي أكد لكِ هذا؟

ـ لقد رأيت من قتلني، نظرت في عينيه وهو يسرع نحوي، لقد أراد دهسي بسيارته وفور أن ارتطم بي فر هاربا.

سألتها بدهشة:

ـ هل كان لديكِ أعداء؟

التزمت الصمت فأعادت عليها السؤال:

ـ هل كان؟

ـ نعم

ـ كيف ذلك، من هو؟

همت أن تجيبها إلا أن كريم اقتحم غرفتها دون استئذان، لم يكن لديه وقت ليندهش من ارتدائها لذلك الثوب ولا حتى الحالة التي كانت عليها، قال لها على الفور:

ـ أمي تريدكِ في أمر هام.

نظرت كيان حولها تبحث عن روح لم تجدها فقالت:

ـ تفضل أنت وأنا سأبدل ملابسي، ثم أذهب إليها على الفور.

فور أن غادر أخذت تنادي عليها ولكنها كانت قد اختفت تماما.

في اليوم التالي انتظرت كيان أن تظهر لها روح؛ لتكمل معها بقية حديثها لكنها لم تظهر لها ثانية، وأرادت أن تتحدث مع أدهم لتصالحه لكنها تذكرت حديث جدتها عنه فعدلت عن رغبتها، بعد مُضي يومين قررت أن تتحدث مع أمها بشأن روح دون أن تصارحها بأنها قد رأتها.

جلست مع أمها بعد أن أعطتها الدواء واطمئنت على صحتها، قررت أن تتجاذب معها أطراف الحديث، سألتها:

ـ أمي هل تذكرين ذلك اليوم الذي ماتت فيه روح؟

قالت بحزن:

ـ نعم بالطبع، لمَ تسألين؟

ـ لقد حلمت بها بالأمس.

سألتها بلهفة:

ـ حقا، وكيف كانت؟

ـ كانت حزينة وشاردة.

قالت بحزن:

ـ مثلما كانت يوم الحادث

ـ وما السبب؟ أنا أذكر أنها كانت تستعد لزفافها، وأنها كانت تحب خطيبها

ـ لقد أصبحت على تلك الحالة بعد عودتها من السفر، ولا أعرف سبب شرودها بالرغم من محاولاتي معها عدة مرات، كانت وكأنها تبدلت وذبلت، حتى سامح خطيبها حاول أن يعرف السر وراء تغيرها فلم يعرف، هكذا هو أخبرنا؛ على الرغم من شعوري أنه يخفي عنا شيء هام

ـ ألا تذكرين أين كانت تحديدا؟

ـ نعم أتذكر، لقد سافرت إلى تركيا في مهمة عمل، ولقد رفضت أمي سفرها ولكنها حاولت إقناعها بشتى الطرق، أنه سبق صحفي سينقلها في مجال عملها لمكانة أعلى، كانت عنيدة وتحت وطأة إصرارها وافقت أمي على مضض، خاصة عندما علمت أن زميلتها ستسافر معها، ولقد استغرقت رحلتها خمسة عشر يوما، لأنها غطت حدث هام هناك.

شردت كيان قليلا ثم سألتها:

ـ ألا تعرفين أين هو سامح خطيبها الآن؟

ـ لقد علمنا أنه ترك عمله بالمدرسة كمدرس لياقة بدنية، وافتتح مركز للألعاب الرياضية خاص به وبدأ العمل على تطويره، بعد ذلك انقطعت أخباره عنا.

بعد أن انتهت كيان من الحديث مع أمها قررت أن تبحث عن سامح فقد شعرت أنه سيفيدها كثيرا في معرفة أشياء أكثر عن روح؛ كل ما كانت لا تستطيع هي الوصول إليه.

****

الفصل السابع

تحسنت حالة خديجة الصحية، وقررت أن تزاول نشاطها من جديد؛ على الرغم من أنها آلفت مرضها نظرا للرعاية التي تتلاقاها من حولها، كم شعرت بالدفء بسبب خوف الجميع عليها واهتمامهم الواضح بها، حتى فريدة لم تكن تتركها.

لاحظت اعتزال كيان في غرفتها، لم تعهد عليها ذلك، طرقت بابها وعندما لم ترد قررت الدخول إليها، اندهشت عندما وجدتها تنظر نحو حيطان الغرفة وكأنها تائهة تبحث عن شيء ما! اقتربت منها وربتت بخفة فوق يدها، نظرت كيان نحوها وقالت:

ـ أمي متى دخلتِ، لم أشعر بكِ؟

ـ دخلت منذ برهة، لماذا أنتِ شاردة على هذا النحو؟

ـ لا شيء.

شعرت أنها تخفي عنها شيئا فسألتها:

ـ أين أدهم بالمناسبة؟ لقد كان يتصل عليكِ كل يوم ليستعجلك للاستعداد للسفر، هل تراجع عن قرار السفر أم ماذا؟

قالت بلا مبالاة:

ـ لا، بل قد سافر بالفعل

ـ كيف ذلك، هل تشاجرتما؟

للمرة الأولى لم تخفي عنها وقالت:

ـ نعم كالعادة.

اندهشت خديجة وقالت:

ـ كالعادة!

نهضت كيان وتمشت ببطء في الغرفة، نظرت نحو شهادة تخرجها المعلقة على الحائط بداخل ذلك الإطار الباهظ الثمن، والتي مع الأسف لم تستفد منها بشيء منذ أن تخرجت من كلية الحقوق، لقد تغافلت عن حلمها لتصبح محامية في سبيل زواجها من أدهم الذي اشترط عليها ألا تعمل بعد ارتباطه بها، لم تلم نفسها سوى الآن على تخليها عن حلمها، وكأنها كانت مُنومة مغناطيسيا بسببه، لم تعرف إن كان ذلك هو الحب أم أنها أصبحت أسيرة لديه، وعندما حاولت التمرد عليه للمرة الأولى عاقبها بشدة، لم تتخيل أن يسافر هكذا، لم يحاول التحدث معها وكأنها لا تفرق معه، وكل ذلك بسبب خلاف بسيط حدث بينهما.

تنبهت على صوت أمها وهي تقول:

ـ كيان حبيبتي أين ذهبتِ؟

ـ للمرة الأولى يا أمي أنا هنا ولست في مكان آخر، أشعر أنني استرددت نفسي

ـ أنا لا أفهم شيئا، لمَ تتحدثي بالأغاز هكذا؟

ـ ليست هناك ألغاز، لا تقلقي سأخبرك بكل شيء عما قريب.

غادرت خديجة غرفة كيان وهي لا تفهم ما يحدث معها، ثم قررت أن تتحدث مع ريتاج وتطلب منها أن تأتي على الفور، لعل كيان تخرج عن صمتها وتبوح لها بكل شيء.

.....

عندما حضرت ريتاج جلست خديجة معها أولا، طلبت منها أن تعرف ماذا حدث بينها وبين أدهم، كانت على علم أنها ستبوح لها كالعادة، فقد كانت صداقتهما قوية بالفعل.

دلفت ريتاج إلى غرفة كيان، جلسا معا واستمعت لكل حرف نطقت به وهي غير مصدقة، لم تكن تتخيل أن يصل الأمر بينها وبينه لهذه الدرجة، سألتها:

ـ ماذا حدث لصبرك عليه واستيعابك لنوبات غضبه؟

ـ لم أعد أحتمل، إنني أريد من يستعب نوبات غضبي أنا

ـ وهل تغضبين مثلنا يا كيان؟

قالتها بسخرية مما دفع كيان لتقول بعصبية:

ـ إنني بشر في الأخير

ـ وأين التنمية البشرية التي أوجعتِ رأسنا بها؟

ـ لقد نفعتني في حياتي كثيرا، لكن معه انقلب الأمر عليّ، لقد كنت أعامله كالطفل، أدلله بل أفرطت في تدليله، حتى جعلته يغتر بنفسه وبدأ

يمحو شخصيتي شيئا فشيئا، وعندما أفرغت ما في صدري للمرة الأولى انظري لما فعل، لقد تخلى عني بسهولة

ـ لقد حذرتكِ منه مرارا وطلبت منكِ أن تعيدي التفكير في الارتباط به

ـ لستِ وحدكِ من طلب مني ذلك، لكن كانت هناك غشاوة على عيني، لم يزيلها سوى تحذير جدتي.

سألتها بدهشة:

ـ جدتك من؟

ـ روح جدتي

ـ أنا لا أفهم شيئا.

تحمست كيان وتخلت عن حذرها وقالت:

ـ سأخبرك بكل شيء.

لم تصدق ريتاج كلمة مما أخبرتها بها كيان، لولا علمها بتعقل صديقتها لكانت اتهمتها بالجنون، طلبت منها أن تريها الثوب لعلها تظهر لهما بالرغم من شعورها بالرعب من خوض تلك التجربة، أرتها الثوب ولم يحدث شيئا، قالت لها:

ـ لقد أخبرتكِ أنها لم تظهر لي منذ وقتها رغم استدعائي لها المتكرر

ـ مؤكد أثرتِ غضبها

ـ لم يحدث ذلك، ثم هي من جرأتني أن أتجاهل أدهم من الأساس، وكأنها كانت على علم بأنانيته

ـ هل هذا يعني أنكِ قطعتِ علاقتك به؟

شردت قليلا ثم قالت:

ـ المهم الآن أن نصل لخطيب جدتي روح، هل من اقتراحات لديكِ؟

كانت تعلم أنها تهرب من الإجابة على سؤالها ومع ذلك قالت:

ـ نعم فهذا ليس بالشيء الصعب.

.....

ذهبت كيان برفقة ريتاج إلى العنوان التي أعطته إياها، والتي حصلت عليه من آخر مدرسة كان يعمل بها سامح، كانت كيان تشعر بالارتباك وتحاول أن تحضر الحديث الذي سيدور بينها وبينه، شعرت بها ريتاج فطمئنتها بابتسامة إلى أنها بجانبها.

طرقت ريتاج الباب بعدما لاحظت تردد كيان، فتحت الباب سيدة في الستينات من عمرها، نظرت لهما تتفحصهما وأطالت النظر نحو كيان، سارعت ريتاج بسؤالها:

ـ هل هذا منزل الأستاذ سامح كريم؟

قالت بريب:

ـ نعم هو

ـ هل هو موجود؟

ـ لا

ـ ومتى سيأتي؟

ـ إنه ليس في القاهرة، هو يعمل في سيوة.

نظرت كيان نحو ريتاج وقد خاب أملها، طلبت الأخيرة رقمه منها بعد أن أقنعتها أنها تريده في أمر هام، أعطتها الكارت الذي يحمل أرقامه، وهي تبدو مُرغمة على ذلك، استئذنا منها ليغادرا، فسارعت بسؤال كيان:

ـ هل تقربين لروح؟

نظرت كيان لها بدهشة فقالت لها:

ـ لا داعي للاندهاش فأنتِ قطعة منها.

ابتسمت كيان وسألتها بود:

ـ هل مازلتِ تذكرينها؟

انقلبت ملامح السيدة للعبوس وقالت بغضب:

ـ سامحها الله لقد جعلته رهن إشارتها ولم يلتفت لغيرها، ماتت ولكنه ظل على ذكراها لتكن آخر عهده بالنساء.

غادرت كلتاهما وهما تشعران بالغرابة، وصرفت كيان نظر عن الحديث معها عن جدتها بعدما سمعته منها.

.....

أرادت كيان السفر إلى سيوة بشدة للقاء سامح، لكن فكرة السفر نفسها لن توافق عليها أمها بالطبع، كانت تعلم ذلك جيدا، ولقد انسحبت ريتاج ولم تعد تساندها في هذا الموضوع لانشغالها بأمورها العائلية.

ما سبب الشعور بالضيق لكيان هو الفراغ الذي باتت تشعر به مؤخرا، بعدما كانت مشغولة في الفترة الأخيرة مع أدهم، لذا قررت أن تملأ ذلك الفراغ بالبحث عن فرصة عمل، وكأنها بذلك تتحدى أدهم الذي لن يرحب بهذه الفكرة بالمرة. بالطبع عارضت خديجة في بادىء الأمر لكنها وافقت في النهاية بعدما تدخل حازم، الذي خاض نقاشا طويلا بعد أن أخبرها أنها ستبحث عن عمل في الجوار ولن تبتعد عنها.

بعد قليل من البحث؛ وجدت كيان بالصدفة فرصة عمل، بمكتب محاماة قريب من منزلها، لم تصدق وعقدت العزم للتقديم به واستعدت للمقابلة الشخصية، عندما نزلت من بيتها في ذلك اليوم كانت أنيقة أكثر من العادة، صادفت يوسف في المصعد، عندما رأته حيته ولم تلتفت له مرة أخرى، تذكرت المرة الأخيرة التي رأته بها، كانت مُحرجة للغاية، حاول هو أن يبدأ معها الحديث لكنه كان مترددا، ثم فجأة لفت انتباهه عدم وجود دبلة الخطبة بإصبعها، لقد تعمدت عدم ارتدائها انتقاما من أدهم، توقف المصعد فخرجت منه على الفور، أسرع خلفها وقد أصر على محادثتها، اقترب منها وقال:

ـ هل تسمحي لي أن أوصلك إلى المكان الذي ستذهبين إليه؟

نظرت له وقالت بخفوت:

ـ لا شكرا.

وبأعلى كانت خديجة تراقبها، وعلى الرغم من أنه لم يطل حديثهما إلا إنها أرادت بشدة أن تعرف ماذا يدور بينهما، رأته يستقل سيارته بتباطؤ، ثم استقلت كيان سيارة أجرة وبعد ثوان خلا الطريق منهما.

وصلت كيان إلى حيث عنوان المكتب الذي كان مذكورا في الإعلان، شعرت بالراحة في المكان، قابلها العامل بترحاب شديد وأدخلها لغرفة المقابلة، كانت غرفة مريحة للنظر من الوهلة الأولى؛ بألوانها الهادئة وأثاثها الراقي رغم بساطته، انتظرت المسؤول بضعة دقائق، ثم دخل عليها يوسف ولكن ليس على هيئته الأولى عندما شاهدته اليوم، فقد كانت ملابسه متسخة قليلا ويحمل سترته على يديه ويبدو عليه الغضب، شعرت بالقلق وفكرت هل يتبعها أم ماذا، ثم نهضت وهمت أن تخرج ولكنه صفع الباب خلفه بقوة.

****

الفصل الثامن

وصل يوسف إلى مكتبه متأخرا، سيطر عليه الشعور بالضيق بسبب تعطل سيارته، دلف إلى مكتبه غاضبا، فور أن وقعت عينيه على كيان التي كانت تقف أمام مكتبه؛ سألها بدهشة:

ـ آنسة كيان، ما الذي أتى بكِ الى هنا؟

قالت له بعفوية:

ـ لقد كنت سأسئلك نفس السؤال

ـ أنا مدير المكتب هنا.

ضحكت وقال:

ـ صدفة غريبة، لقد أتيت للعمل هنا بناء على الإعلان

ـ إنها لصدفة رائعة، وآسف على تأخيري، فقد تعطلت بي السيارة وأنا في الطريق.

ضحكت وقالت:

ـ حمدا لله أنني لم أستقلها معك.

ضحك معها وقد تبدل شعوره إلى السعادة، لم يصدق أنها حضرت من أجل فرصة العمل لديهم، لم يكن يتمنى أكثر من ذلك أن يراها كل يوم. دخل مصطفى وقال:

ـ هل قمت بالمقابلة بدلا مني؟

ـ نعم فأنت تأخرت

ـ وأنت أيضا.

نظر يوسف له معاتبا ثم إلى كيان وقال:

ـ هذا ليس وقته، أعرفك بالآنسة كيان.

قال مصطفى:

ـ مرحبا آنسة كيان لقد..

توقف عما يقول بعدما انتبه لشيء ثم استكمل حديثه قائلا:

ـ هل أنتِ كيان جارته التي..؟

قالت بحرج فقد جمعهما أكثر من موقف مُحرج:

ـ نعم

ـ مرحبا لقد أنرتِ المكتب

ـ أشكرك.

حاولت كيان بعد أن غادر مصطفى التركيز على المقابلة، التي ضاع نصفها في الحديث عن العقار الذي يقطنان فيه وذكرياتهما معا دون وعي منهما.

عندما غادرت جلس مصطفى مع يوسف وسأله:

ـ كيف جرت المقابلة؟

ـ أفضل ما يكون

ـ ستعينها بالطبع أليس كذلك؟

ـ نعم بلا شك.

زفر مصطفى بقوة وقال:

ـ ما بك يا صديقي، هل نسيت أنها مرتبطة؟

أفاق يوسف من حلمه الجميل على كلماته وقال:

ـ لم أنسى ولكني اليوم عندما نظرت إلى يدها، ولم أجد دبلة الخطبة استبشرت خيرا، ولقد تحدثنا معا من القلب

ـ سامحني يا يوسف أنت هكذا لا تتصرف باحترافية، ماذا نعرف عن خبراتها في المحاماة لنعينها هكذا على الفور؟ أنت تعرف جيدا دقة عملنا هنا ونحن نحاول إثبات جدارتنا بشتى الطرق فنحن في بداية الطريق

ـ أؤكد لك أنها ماهرة، لقد اطلعت على سيرتها الذاتية إنها مشرفة، لقد كانت من أوائل دفعتها

ـ وهل هذا كاف؟

قال بحسم:

ـ نعم والأيام ستثبت لك.

التزم مصطفى الصمت فقد كان يعرف جيدا كم هو عنيد، ويتشبث برأيه مهما حدث، لكن تلك المرة لم يكن مطمئن على الإطلاق.

.....

لم تصدق ريتاج أذنها، عندما أخبرتها كيان أنها قدمت طلب عمل في مكتب محاماة، أرادت أن تحتفل معها بذلك التغيير المفاجىء، فعرضت عليها أن تخرجا معا، لكن عندما جلست معها شعرت أنها ليست على مايرام، سألتها:

ـ ما بكِ؟

ـ جدتي روح لا تفارق مخيلتي، أريد أن التقي بخطيبها بأي شكل لعله كان على علم بما حدث معها

ـ أريد حقا مساعدتك، ولكن أمكِ لن توافق على السفر بتلك السهولة

ـ وهذا ما يحبطني، أنا أريد أن أتحرر من ذلك السجن، لقد صبرت كثيرا حتى إنني كنت سأهرب من سجن أمي إلى سجن أدهم، كم كنت غبية ولم ألاحظ ذلك الخطأ

ـ أنا سعيدة من أجلكِ حقا لأنكِ تداركتِ تلك الحقيقة؛ لذا سأساعدك.

لمعت عينيها وهي تسألها:

ـ كيف؟

ـ سنقول لأمكِ أنها رحلة عمل إجبارية وأنها اختبارك الأول لإثبات جدارتك

ـ هل سنكذب عليها؟

ـ هل لديكِ حل آخر؟

هزت رأسها في أسى، لم تكن تريد أن تكذب، إنها لم تفعلها من قبل، تساءلت في نفسها: هل يستحق الأمر؟

جاوبت ريتاج على سؤالها وكأنها سمعتها:

ـ نعم يستحق الأمر.

.....

جلس يوسف بغرفته ساهما، ظل حديثه مع كيان يدور ويدور في رأسه، لقد تمنى وقتها لو لم ينتهي حديثهما، شعر وكأنه طفل تعلق بلعبة جديدة، لم تكن تلك عاداته، لكنه على ما يبدو وقع في فخ الحب، ويبدو أن الدنيا تبتسم له أخيرا، فليس صدفة أن تتقدم لطلب الوظيفة لديه، وأيضا يدها الفارغة تنبيء عن أنها فسخت خطوبتها من خطيبها، شعر أن كل ما يحدث مقدر لجمع شملهما، لذا لم يستطع الانتظار وقرر أن يهاتفها ليعلمها بنبأ قبولها في الوظيفة، كان رقمها مذكور في سيرتها الذاتية، عندما ردت عليه تردد قليلا ثم قال:

ـ مرحبا آنسة كيان، أنا يوسف.

قالت بتوجس:

ـ مرحبا

ـ لقد اتصلت عليكِ لأخبرك أنه تم قبولك في الوظيفة، وأنه لشرف لنا انضمامك إلينا

ـ حقا، لا أعلم كيف أشكرك

ـ لا داع للشكر، استعدي لاستلام العمل من الغد

ـ بهذه السرعة؟

ـ نعم فأمامك الكثير من العمل الذي ينتظركِ.

التزمت الصمت ولم تعرف ماذا تقول، سألها:

ـ ماذا بكِ، لمَ أشعر أنكِ غير سعيدة بهذا الخبر؟

ـ لا على العكس، أنا سعيدة للغاية ولكن..

ـ ولكن ماذا؟

ـ لقد جد شيء، وأريد السفر إلى سيوة في أقرب وقت

ـ سيوة، هل هي رحلة؟

ـ ليست رحلة ولكنها زيارة لابد منها ولن تطول بأمر الله

ـ حسنا سننتظركِ

ـ لا أعلم كيف أشكرك.

تذكرت شيئا فأردفت:

ـ أستاذ يوسف هل لي بطلب منك؟

ـ تفضلي

ـ إذا تحدثت أمي معك عن تلك الرحلة، فأخبرها بأنها رحلة عمل، لأن لولا ذلك لن توافق عليها على الإطلاق

ـ حسنا ليست هناك مشكلة.

قالها وهو يشعر بالضيق، كان يريد أن يعرف سبب كذبها على أمها بهذا الشكل، ولكن لم تكن علاقته بها تسمح بسؤالها والخوض في هذا النقاش الآن.

.....

كانت كيان متحمسة للغاية خاصة بعد موافقة أمها على سفرها، هذا بالطبع بعد أن أملت عليها نصائح وتعليمات للسلامة عديدة. فتحت دولابها لتنتقي ثوب ترتديه أثناء ذهابها لحجز تذاكر الرحلة، ثم نظرت نحو ثوب الزفاف، تأملته لبرهة ثم قالت تحدث جدتها روح من خلاله: أنا أفعل ذلك من أجلكِ، كم كنت أود أن أعلم الحقيقة منكِ ولكن ما باليد حيلة، لا أعلم لمَ لم تظهرِ لي مرة أخرى؛ هذا على الرغم من تصديقي لكل حرف نطقتِ به، على العموم لا تحملي هم، سأحاول معرفة الحقيقة من سامح بإذن الله.

سمعت أمها تنادي عليها فهرعت إليها، وفور أن غادرت الغرفة؛ اهتز الثوب بقوة.

عندما خرجت لأمها تفاجأت بقولها:

ـ أنتِ لم تخبريني بأنكِ التحقتِ بالعمل لدى جارنا هذا.

ارتبكت كيان، لم تعرف كيف نسيت أن تخبرها، قالت لها:

ـ وماذا كانت ستفرق معرفتك من عدمها؟

نظرت لها بغضب وقالت:

ـ سيكون حسابي معكِ في وقت لاحق، تفضلي، الأستاذ يوسف ينتظركِ أمام باب الشقة.

ذهبت كيان إليه وهي تغمغم:

ـ تُرى ما الذي أتى به الآن إلى هنا؟ لقد سبب لي مشكلة أنا في غنى عنها الآن.

فتحت الباب على مصراعيه الذي كان مفتوحا قليلا، سألته ببرود:

ـ ماذا هناك؟

سألها بحماس:

ـ هل حجزتِ تذاكر السفر إلى سيوة أم ليس بعد؟

ـ لا ليس بعد

ـ حسنا لا تفعلي، لقد جئت لكِ بالتذاكر.

نظرت له بتساؤل فاستطرد:

ـ لديّ صديق يعمل في مجال السياحة، طلبت منه تذاكر للرحلة شاملة الإقامة والتجول هناك.

أخذت تلوم نفسها في سرها على معاملتها الجافة له؛ في حين هو يسبقها بخطوة ويوفر عليها عناء ذلك المشوار، قالت:

ـ أنا لا أعلم كيف أشكرك، لقد أرهقتك معي

ـ ليس هناك داع للشكر، ثم إنه خدمني أنا أيضا، فأنا سأرافقك في تلك الرحلة إذا سمحتِ لي

ـ ماذا؟

قال بتردد:

ـ لقد وجد تذاكر إضافية وعرضها عليّ فوافقت، هل تودين مني التراجع عن قرار السفر؟

ـ لا هذا شأنك، أنا كنت فقط..

ـ ماذا؟

ـ لا شيء، متى سنقوم بالرحلة؟

ـ بعد ثلاثة أيام

ـ حسنا سأجهز نفسي أنا وريتاج.

غادر وأغلقت الباب خلفه، أسندت ظهرها إليه وهي تفكر ماذا ستخبره هناك عن مهمتها، أكدت لنفسها أنها لن تصارحه بطبيعة مهمتها وإلا سخر منها.

ثم رأت أمها تتقدم نحوها بتحفز، فذهبت من فورها نحو غرفتها فلم تكن بمزاج يسمح لها بالجدال الآن، دلفت إلى غرفتها وفوجئت بثوب جدتها فوق فراشها، اندهشت وأخذت تفكر وتعصر ذهنها فقد كانت على يقين أنها لم تخرجه من الدولاب، شعرت بالغرابة وقالت تحدث نفسها: تُرى هل جننت، أم أنها تود إخباري بشيء ما؟

****

الفصل التاسع

انتظرت ريتاج كيان أسفل بهو العقار، لم ترد الصعود لئلا تنفرد بها أمها، فهي لا تنفك توصيها عليها، هذا على الرغم من أنها وعدتها أنها لن تتركها للحظة.

عندما وقع بصرها على كيان اندهشت من أناقتها الملحوظة، أطلقت صفيرا قصيرا إعجابا بها، تهلل وجه كيان وقالت:

ـ هل أعجبكِ ثوبي؟

ـ نعم بالطبع، ما كل هذه الأناقة؟

ـ لقد قررت أن أهتم بنفسي أكثر

ـ ونعم القرار، هيا بنا نتحرك الآن قبل أن يأتي يوسف، فأنا أخشى من والدتك أن تراقبنا من أعلى

ـ لا تقلقي فقد اتفقت معه أن نتقابل هناك عند محطة القطار.

استقلت كيان القطار بصحبة ريتاج ويوسف؛ الذي أحضر معه شقيقته سارة وابنتها الوحيدة التي تبلغ من العمر خمس أعوام، انتهزت سارة الفرصة وجلست تتحدث مع كيان، كان يوسف قد أخبرها قبل الرحلة بأنه منجذب نحوها ولقد حاولت أن تثنيه عن الاقتراب منها أكثر؛ نظرا لأنها مرتبطة، لكن نظرة عينيه الذابلة وإصراره على تعيينها معه بالمكتب

جعلاها تفكر في الأمر، ومن ثم طلبت منه أن ترافقه في هذه الرحلة؛ بحجة أن ترفه عن نفسها دون أن تبدِ نواياها الحقيقة.

استهلت حديثها مع كيان عن ذكريات طفولتهما؛ حينما كانا تلعبان معا وكان يوسف يتطفل عليهما، قالت كيان:

ـ لقد كنت أتطلع للقائك لكني لم ألمحك بأي شكل من الأشكال

ـ هذا لأنني عندما تزوجت سافرت بصحبة زوجي إلى بلد عربي؛ لأنه كان يعمل هناك، مكثت معه لفترة بالفعل ورزقني الله منه ابنتي ريتال، ثم أصابني مرض ولم يستطع الاعتناء بي وحده، فاضطررت أن أعود لمصر حتى تعتني بي أمي.

لم تشأ كيان أن تسألها عن طبيعة مرضها، خاصة عندما تغيرت نبرتها إلى الحزن، آثرت أن تتحدث معها في موضوع آخر، ولم تنتبه إلى كيف وصلا في النهاية إلى الحديث عنها، تحدثت معها عن أدهم وطبيعة علاقتهما والخلاف الأخير الذي دار بينهما، اندهشت كيان من نفسها فهي لم تتعود البوح لأحد بهذه السرعة، مما أثار دهشة ريتاج هي الأخرى التي كانت تضع السماعات على أذنها، وتتظاهر بسماع الأغاني، ولقد لاحظت أيضا يوسف الذي كان يختلس النظر من حين لآخر ناحيتهن.

.....

انتهت خديجة من عملها باكرا، فقررت أن تصعد إلى شقتها لترتاح، قبل أن تتجه إلى غرفتها نظرت نحو غرفة كيان المغلقة، انقبض قلبها فهي لا تشعر بالاطمئنان وإلا وابنائها حولها، لم تكن تشعر بالراحة في غيابهما، لا تعرف كيف وافقت على سفرها، طمئنت نفسها أنها كبرت وأصبحت رشيدة بما يكفي. دلفت إلى غرفتها، نظرت نحو أرجاء الغرفة، ثم إلى الدولاب، الذي يحوي الثوب، اتجهت نحوه ببطء، فتحته، وأخرجت الثوب بعناية، وضعته بخفة فوق الفراش، أخذت تتأمل تفاصيله مليا، تذكرت كيف تعبت في كل إنش منه ليكن بتلك الصورة، اجتاحتها الذكريات القديمة؛ عندما كانت روح تلح عليها كل فترة أن تضع به لمسة جديدة، لم تكن تكتفي من تلك اللمسات الرقيقة مثلها، كانت تعشق كل ما هو رقيق وتتطلعت لارتداء ثوبها بفارغ الصبر؛ إلى أن جاءتها فرصة السبق الصحفي فسافرت على الفور؛ مهرولة خلف حلمها الذي لطالما كانت تصبو إليه، ثم عادت روح أخرى، اختفت لمعة عينيها وخفة دمها وشيء آخر هام.. هام للغاية.

نظرت خديجة نحو الثوب وقالت تحدث نفسها: تُرى ما الذي أبدلكِ يا عزيزتي، ماذا حدث معكِ لتخفيه عني على غير العادة، ألم يكن سركِ معي دوما؟

همت بمغادرة الغرفة، توقفت ثم نظرت نحو الثوب فلم تجده، اندهشت وفركت عينيها غير مصدقة، اقتربت نحو الدولاب ببطء وقلبها يعلو ويهبط خوفا، نظرت لتجد الثوب قابع بداخله، امتقع وجهها وشعرت

بالخوف، فغادرت مسرعة على غير هدى، وأقسمت ألا تدخل هذه الغرفة إلى حين عودة كيان من رحلتها.

.....

لم يستطع يوسف التركيز في قراءة الكتاب الذي اصطحبه معه، هذا على الرغم من أنه كان يتطلع لقراءته بشغف، لكن وجود كيان معه في نفس المكان يربكه بشدة، لا ينفك يختلس النظر نحوها، ليشبع عينيه منها، لم يشعر بهذا الاحساس من قبل، انتعش قلبه وكاد أن يقفز من بين ضلوعه، وضع يده على قلبه ليهدأ دقاته، لمحها تغادر مقعدها فانتهز الفرصة ليذهب خلفها، وجدها تداعب طفلة صغيرة كان يبدو عليها الملل، أُعجب ببساطتها وعفويتها ولم يستطع منع نفسه من الضحك عندما كانت تحاول إضحاك الطفلة، نظرت نحوه وشعرت بالخجل، اقترب منهما وحاول إضحاك الطفلة معها، اندهشت من بساطته هي الأخرى، قال لها:

ـ جزاكِ الله خيرا على محاولة إدخال السرور على قلبها.

ابتسمت وقالت:

ـ أنت فعلت ذلك أيضا.

كانت ستتجه صوب مقعدها فاستوقفها قائلا:

ـ ما رأيكِ في تناول فنجان من القهوة؟

قالت بجدية شديدة:

ـ لا أريد.

حزن وكاد أن يتحرك فاستوقفته قائلة بضحك:

ـ بل أريد كوب من الشاي.

ضحك وقال:

ـ كما كنتِ فيما مضى، لم تتغيري أبدا.

انتهى من قهوته سريعا، انتهز الفرصة ليتحدث معها ويعرف تفاصيل عن علاقتها بخطيبها، سألها:

ـ كيف حال خطيبك؟

ارتبكت وقالت:

ـ لا أعلم عنه شيئا، لقد سافر على استعجال وتم تأجيل عُرسنا.

قاوم ابتسامته وقال:

ـ الخيرة فيما اختاره الله.

نظرت له بشك، شعرت أنه سعيد بهذا الخبر، وعينيه كانت تحمل الكثير من الكلمات التي لم يستطع التفوه بها.

.....

وصل القطار إلى وجهته، استقل الخمسة سيارة إلى الفندق الذي حجز به يوسف من قبل، لمحوا رسومات على الجدران والنوافذ المصنوعة من الخشب مع مقاعد من الخشب أيضا، فوقها اسفنج مريح، كان كل ما حولهم يغلب عليه الطابع العربي، صعدوا بضعة سلالم متجهين إلى غرفهم حيث أرشدهم المسؤول عن الفندق.

مكثت كيان مع ريتاج في غرفة بجوار غرفة يوسف وسارة، فور أن دلفت كيان إلى الغرفة غُرمت بها، كانت صغيرة لكنها جميلة بالطابع العربي الذي يغلب عليها، أسرعت نحو النافذة لتطل منها على منظر رائع، حيث النخيل والزرع بلونه الأخضر المريح للعين، لطالما أحبت تلك الأجواء، ولكنها مع الأسف لم تحظى برؤيتها من قبل بسبب خوف أمها عليها، فلم تكن تذهب في مكان من دون عائلتها، لقد حُرمت من أبسط حقوقها، أن تقم برحلة مع صديقاتها، أو حتى تذهب إلى النادي لتمارس رياضتها المفضلة، ظلت منغلقة على نفسها كثيرا، إلى أن تعرفت على ريتاج التي بدأت ترتاح لها وتخرجها من حالة الوحدة التي سيطرت عليها، ولكن ظل شبح خوف أمها عليها يطاردها.

بعد أن ارتاح الجميع قرروا التجول في المكان، جلسوا مع سكان البلدة وتناولوا معهم المشروب الخاص بهم "اللجبي" وهو عبارة عن عصير البلح المفضل لجميع أهالي الواحة، نظرا لمذاقه السحري الألذ من العسل، ويعتبر علاج للعديد من الأمراض المزمنة، وهو مشروبا أساسيا لهم خلال فصل الصيف. نال استحسان كيان مما دفعها أن تسأل كيف يصنعونه، أخبرها رجل من أهالي سيوة عن كيفية صنعه من خلال النخيل، حيث أن مراحل إنتاج اللبجي من النخلة تبدأ بإزالة الجريد بالمنجل، أو بالفأس، ويتم عمل شكل هرمي بقلب النخلة وإزالة الطبقة الرقيقة وهي لب النخلة، وأضاف أنه يشترط لكي يتم استخراج اللبجي أن تكون النخلة غير منتجة، وذلك

لأنه مجرد أن يتم حفرها تموت، ولا يكن هناك أي أمل فيها لإنتاج التمور.
انبهرت كيان بتفاصيلهم، فهم لا يبددون شيئا ويستفيدون من أقل الإمكانيات.
اقترح عليهم المرشد السياحي الخاص بالفندق الذي يقيمون به، زيارة بعض الأماكن السياحية التي تشتهر بها واحد سيوة، كجبل الموتى وعين كليوباترا ومعبد آمون وغيرهم مم الأماكن المميزة، راق لكيان والجميع البدء بزيارة جبل الموتى، نظرا لأنه على بعد كيلو مترين من وسط واحة سيوة، ولا يفصلهم عنه سوى مسافة قليلة.
عندما وصلوا إلى هناك؛ توقف المرشد السياحي ليشرح لهم عنه، قال:
ـ لقد اكتشفه أهالي سيوة خلال الحرب العالمية الثانية، عندما قرروا الاختباء فيه من الغارات، وأطلقوا عليه هذا الاسم، وتعود هذه الأضرحة التي به إلى العصور القديمة، من زمن الفراعنة المصريين إلى العصر البيزنطي.
تجول الأربعة حول الجبل، الذي على الرغم من اسمه الذي يقبض القلب، إلا إنه ساحر بحق، جلست كيان لتسترح على الحجارة، في حين أكملت ريتاج جولتها لتلتقط بعض الصور لها برفقة الجبل، انتهز يوسف الفرصة ليتحدث معها، لمحته سارة وهو يقترب نحوها، فابتسمت وقالت في نفسها: كم هو عنيد.

جلس يوسف إلى جانب كيان، لم يكن يعرف من أين يبدأ، تمنى لو يتحدث معها مباشرة ويخبرها بمشاعره نحوها، لكنه خشي أن تظن به الجنون، استجمع شجاعته وقال:

ـ لم أكن أتصور أن تكن تلك الرحلة بكل هذه الروعة!

التفتت له، كانت مشغولة بالتفكير فلم تسمع منه ولا كلمة، عندما لاحظ شرودها سألها:

ـ ما الذي يشغلكِ؟

ـ إنني أتامل المكان فحسب، فهو ساحر للغاية

ـ المكان هنا ساحر بالفعل، ولكن هناك أماكن أروع منه بكثير

ـ مع الأسف لم يتسنى لي زيارة أي منها، فأنا بالكاد كنت أخرج من بيتي

ـ وما السبب في ذلك؟

ـ كانت أمي تخشى عليّ من كل شيء وأي شيء، هل تذكر عندما كنت ألعب بصحبتك أنت وسارة؟

أومأ لها بالايجاب فأردفت:

ـ كانت تخشى عليّ من اللعب معكما، لذا حذرتني أن أراكما أو أتحدث معكما

ـ الهذه الدرجة؟

ـ وأكثر، وقد سبب لي ذلك حالة من الانطواء، لم أخرج منها إلا من خلال وجود ريتاج في حياتي.

نظرت نحوها بامتنان، في حين أخذ يوسف يتأمل ملامحها بحب، لم يكن يفهم سر بعدها عنه في فترة طفولتهما، الآن فقط أدرك الحقيقة، وتمنى في داخله أن لا يفرقهما شيء هذه المرة.

.....

في اليوم التالي ذهبت كيان بصحبة ريتاج إلى ذلك المنتجع الذي يعمل به سامح، سألا عليه وعلما أنه يجتمع بالمتدربين في جلسة تأمل ويوجا، تظاهرا بأنهما تودان حضور الجلسة، فسمح مساعده لهما بعد أن دفعت كيان مقابلها، دخلت الاثنتان إلى حديقة واسعة خلف المبنى الذي دخلا منه، وأخذت كيان تبحث عنه بعينيها بين الحضور.

جلس رجل في منتصف الأربعينات من عمره في مقدمة صف اليوجا، كان لايزال يحتفظ بوسامته رغم مرور الأعوام، انتشر بعض الشيب في رأسه مما أكسبه بعض الوقار مع لحية مصففة بعناية، نهض من مكانه وتوقف إلى جانب امرأة، كان يراقبها عن كثب وهي تؤدي حركة من حركات اليوجا، لم يكن بحكم عمله كمدرب يتهاون في الخطأ، حرص أن يوفي عمله حقه بل ويتفانى فيه، ذلك جعل منه مدرب مشهور والناس تأتيه من كل حدبٍ وصوب؛ هذا على الرغم من بُعد المسافة التي يتكبدها البعض في سبيل حضور جلسة من جلساته العلاجية المذهلة.

لاحظ دخول امرأتان، نظر نحوهما بآلية، لفتت انتباهه إحداهما، كانت قريبة الشبه من خطيبته السابقة روح، كذب عينيه وحاول استكمال الجلسة، أخذ يردد بصوته الرخيم:

ـ تنفسوا بعمق من الأنف واحبسوا النفس قليلا، ثم أطلقوه ببطء من الفم.

تابعها بعينيه وهي تجلس بين الحاضرين وتحاول تقليد البقية، لمح صديقتها وهي تميل على أذنها وتقول شيئا، لاحظ أنهما تنظران نحوه بفضول، سأل نفسه: معقول هذا الشبه الكبير بينهما، هل من الجائز أن تكون هي؟

نفض عن ذهنه هذا الاحتمال فهو متأكد من أن روح ماتت ووراها التراب، لقد استلم جثتها بنفسه من المشرحة، شعر بغصة في حلقة جراء تلك الذكريات الحزينة، حاول استكمال الجلسة ولكن تركيزه كان منعدما، لاحظ المتدربين ذلك؛ لذا أنهى الجلسة سريعا، انتظر مغادرة الجميع وسعد كثيرا عندما اقتربت منه كيان ومعها ريتاج، تشجعت كيان عندما لاحظت نظراته الفضولية نحوها وقالت:

ـ حضرتك أستاذ سامح كريم؟

أجابها والابتسامة تملأ وجهه:

ـ نعم أنا

ـ أنا كيان قريبة روح خطيبتك السابقة.

لم تكن كيان تتخيل وقع تلك الكلمات عليه بهذا الشكل، لقد ظل بعدها ساهما يحاول استيعاب الموقف؛ إلى أن أوضحت له صلة القرابة بينهما، وبعد ذلك قالت له:

ـ لقد جئت لزيارتك في مهمة محددة وأرجو من حضرتك أن تساعدني بها.

لم يتردد وأخذهما إلى كافيتريا المنتجع، لم يكن يريد تأجلة سماعها، كان الفضول يأكله، سألها:

ـ تفضلي، ماذا تريدين؟

ـ لقد علمت أن روح كانت تبوح لك بكل أسرارها؛ حتى تلك الأسرار التي كانت تخفيها عن أمي بالرغم من قربهما من بعضهما وقتها

ـ هذا ليس حقيقي

ـ ماذا تقصد؟

حاول لملمت شتات نفسه وهو يتذكر الفترة الأخيرة قبيل وفاتها، لقد كانت أتعس فترة مرت على كلاهما، كان مندهشا وقتها لصمتها، وهو على يقين من أنها تخفي عنه شيئا، لقد صبر عليها ظنا منه أنها ستأتيه في الأخير وتخبره بكل شيء، لكنها لم تأتي بل ابتعدت عنه مما أثار حنقه.

قال لها موضحا:

ـ روح لم تكن صريحة معي في أيامها الأخيرة، وأظن أن هناك شيء حدث لها في تركيا في مهمتها الصحفية الأخيرة.

سألته بحيرة:

ـ إن لم تكن أنت وأمي تعلما ما حدث معها ومن الذي سعى لقتلها، من يعلم إذا؟

نظر لها بدهشة وسألها:

ـ من قال لكِ أنها قُتلت؟ لقد ماتت في حادثة والجميع يعلمون ذلك!

ـ هذا ما يظنه الجميع ولكنها أخبرتني.. أقصد..

لم تستطع النطق فتحدثت ريتاج لتساعدها:

ـ هناك شهود على الواقعة قالوا أن الحادثة مقصودة، لكنهم مع الأسف لم يبلغوا الشرطة بذلك.

قال بحيرة:

ـ أنا لا أفهم ماذا سيفيدنا هذا الحديث الآن؟ لقد ماتت روح وشبعت موت.

قالت كيان:

ـ أعلم أن هناك سنين كثيرة مرت على تلك الحادثة، ولكن حق روح لن يضيع بمضي السنين، أنا وعدتها أنني لن أضيعه.

نظر لها مستنكرا فاستدركت أمرها وقالت:

ـ لقد زارتني في المنام، وطلبت مني أن اقتنص لها ممن فعلوا بها ذلك

ـ يا آنسة أنتِ شابة متعلمة وتبدين ذكية، كيف تفكرين بهذه الطريقة؟

ـ لقد كانت بمثابة أمي وكنت أحبها كثيرا، فلا تستهن أرجوك بما أخبرك به.

احتار في أمرها ثم قال بعد برهة:

ـ آسف لا يمكنني مساعدتك، لأنني ببساطة لا أعلم أي شيء بخصوص موتها سوى أنها ماتت في حادثة.

نظرت كيان نحو ريتاج بحيرة، وقد خاب أملها من تلك الزيارة التي مع الأسف لم تأتي ثمارها، لقد أرادت الوصول إلى الحقيقة لترتاح روح في قبرها، ولكن على ما يبدو أن لغز موتها لن يُحل.

استأذنت الاثنتان منه وهمت كلاهما بالمغادرة، أراد أن يستوقف كيان ليهنأ بالجلوس معها قليلا، ويستمتع بتلك الاطلالة إلى وجهها الصبوح؛ الذي يشبه وجه روح، لكم اشتاق إليها؛ هذا على الرغم من غضبه منها بسبب ما علمه عنها بعد تلك الحادثة، لم يستطع البوح لأحد بما عرفه، كانت الصدمة شديدة عليه، ولقد آثر أن يكتم ذلك السر الذي نخر كالسوس في قلبه وعقله وجعله هائما على وجهه، وقد كره كل النساء من بعدها.

****

الفصل العاشر

اعتزلت كيان الجميع وفضلت الجلوس في غرفتها، شعرت بالخزي لأنها خاضت تلك الرحلة دون جدوى، هذا على الرغم من أنها سعيدة برؤية أماكن جديدة، ولكن ظل وجه روح يطاردها أينما كانت، تراها في كل مكان حولها، وكأنها تحسها على معرفة الحقيقة والانتقام لها. لم ترتاح ريتاج وهي تراها على تلك الحالة، أقنعتها بصعوبة؛ أن يخرجا في جولة سياحية برفقة يوسف وسارة، وافقت على مضض فلم يكن لريتاج ذنب فيما حدث، لذا وافقت لعل يكون لتلك الرحلة معنى، لم تكن على ما يرام ومما زاد من ضيقها هو اتصال أدهم بها، عندما رأت رقمه انقبض قلبها، سألتها ريتاج:

ـ ماذا حدث؟

ـ أدهم يتصل بي، وأنا لست مستعدة للحديث معه على الإطلاق

ـ حسنا لا تردي عليه

ـ ولكن ألا يعني ذلك أنني أقطع علاقتي به رسميا؟

ـ وماذا في ذلك، هل يهمك أمره؟

أجابتها بحيرة:

ـ لا أعرف، حقا لا أعرف.

عندما رآها يوسف فطن أنها ليست على طبيعتها، كان يعلم أنها خرجت بالأمس بصحبة ريتاج ولكن لم يعرف وجهتهما مما أثار ضيقه، نهته سارة عن سؤالها وطلبت منه أن يصبر عسى أن تعرف منها وتخبره، لكنه انتهز فرصة وقوفها وحدها وفاجئها بسؤاله:

ـ أين كنتما بالأمس؟

لم تعرف بما تجيبه، ثم حسمت أمرها وقالت:

ـ وما شأنك بذلك؟

تغيرت ملامحه وشعر بالخزي، لم يكن يتوقع ردة فعلها تلك، أتت سارة عندما شعرت أن الأمور ليست على ما يرام، انسحب هو في هدوء، ثم سألتها سارة:

ـ ماذا حدث؟

ـ ليس هناك شيء.

قالتها ثم غادرت، كانت تعلم أنها تتصرف بقلة ذوق، ولكن كان هذا أفضل من مصارحتهما بالحقيقة، بعد قليل لاح لكيان ظل يقف خلفها، التفتت لتجد آخر شخص تتوقع رؤيته في تلك اللحظة.

.....

جلست كيان أمام سامح بكافيتريا يغلب عليه الطابع العربي، وبرغم أن المكان كان مريحا ويعمه الهدوء؛ إلا أن الفوضى التي كانت بداخلها غطت على كل ذلك، لاحظ سامح ذلك فقال:

ـ آسف على زيارتي المفاجأة لكِ

ـ أنا لا أعلم كيف عثرت عليّ من الأساس؟

أشاح ببصره عنها وقال:

ـ لقد كنت أراقبكما أنتِ وصديقتك فور خروجكما من المنتجع.

اندهشت من جرأته فسألته:

ـ ولمَ فعلت ذلك؟

ـ لأنني شعرت ببعض السعادة عندما رأيت أحد قريب من روح، لقد كانت غالية على قلبي كثيرا.

لاحظت عينينه المتلألأتين بالدموع، تذكرت كلمات والدته عندما رأتها، قالت له:

ـ أعلم أنك لازلت تحبها، لقد أخبرتنا والدتك بذلك.

ابتسم وقال:

ـ لقد علمتما مكان عملي من أمي إذا، مؤكد لم تدخر من القول شيئا عن روح.

عندما ابتسمت استطرد:

ـ هي لم تحبها منذ بداية معرفتي بها، ربما لأنني كنت أفضلها على نفسي والجميع، لقد كان حبي لها مميزا ومخلصا؛ على عكسها.

اندهشت من حديثه فسألته:

ـ لماذا تقول ذلك؟ أنا على حد علمي أنها لم تحب شخص غيرك في حياتها، وأنها كانت تحمل لك في قلبها الكثير من المشاعر

ـ هذا ما ظننته أيضا؛ إلى أن انصدمت يوم وفاتها بالحقيقة المؤلمة

ـ أية حقيقة أنا لا أفهم؟

أشاح بوجهه عنها، الذي احمر غضبا وهو يجتر ذكرياته الحزينة، شعرت بالخوف منه للحظة وتراجعت إلى الخلف، نظر نحوها وقال:

ـ أنا لم أُعلم أحد بتلك الحقيقة الصادمة، لقد آثرت أن تظل سيرتها نظيفة حتى بعد مماتها.

سألته بتحفز:

ـ ماذا تقصد بالضبط؟

ـ نتيجة تشريح جثة روح أظهرت أنها كانت حاملا في شهورها الأولى.

وقع الخبر عليها كالصاعقة، وبعد تفكير نظرت له بشك فاستطرد:

ـ أنا ليس لي أية علاقة بهذا الأمر

ـ أنت كاذب، روح شريفة لا تفعل ذلك

ـ هذا ما كاد أن يصيبني بالجنون، فأنا على علم بذلك وكنت أثق فيها كل الثقة، ولكن ضعي نفسك في موضعي، لقد انصدمت مثلك تماما وأكثر، لقد كانت حب عمري الوحيد ولا زالت بالرغم مما عرفته.

أخذت تفكر قليلا لما سيلوث سمعتها، وهما كانا على وشك الزواج وبالفعل يحبها كثيرا، سألته:

ـ هل علمت أمي بتلك الكارثة؟

ـ لا، لقد آثرت أن لا يعلم أحد بها، فهم قد تركوا لي مهمة متابعة نتيجة التشريح ولم يكن أحد مهتم بها، بل رفضوها من أساسه نظرا لأنها ماتت في حادثة ولا توجد شبهة جنائية.

سارعت بالقول:

ـ بل يوجد.

نظر لها متسائلا فاستطردت:

ـ لقد ماتت روح في حادثة مقصودة

ـ وما أدراكِ بذلك؟

ـ هي من أخبرتني.

قال بتهكم:

ـ عندما زارتكِ في الحُلم.

لم تستطع كيان إخفاء الأمر عنه أخبرته بكل شيء، لم تخشى من عدم تصديقه، كانت تعلم أن روح غير مرتاحة في قبرها وتريد الانتقام ولكن ممن فلا تعلم، عندما انتهت قال:

ـ أليس من الممكن أن ما رأيتيه مجرد أوهام أو حلم؟

ـ لا أبدا، وحديثك معي قبل قليل يؤكد أن هناك شيء خاطىء، ثم إن روح لم تخفي عن أمي أي شيء، وأنت أكدت لي أنها لم تخفي عنك أيضا من قبل؛ عدا تلك الأيام الأخيرة التي تلت سفرها.

بعد تفكير قليل ردد قائلا:

ـ إذا ما حدث معها حدث هناك في تركيا؛ أثناء تغطيتها الصحفية

ـ ألا تعلم من كان معها في تلك المهمة؟

لمعت عينيه وقال:

ـ نعم، كانت معها فتاة تدعى أسماء، أذكرها جيدا، لقد حضرت عزاؤها وكانت تبكي بشدة من أجلها، لاحظت وقتها نظرات الإعجاب في عينها وبعدها عندما طلبت مقابلتي رفضت، لقد آثرت الابتعاد فلم أكن في حالة تسمح لي بالتفكير في تلك الأمور

ـ هل تعرف اسمها بالكامل أو أين تقطن الآن؟

ـ لا مع الأسف، ولكن من الممكن أن نسأل عنها عند مدير تحرير الجريدة

ـ هذا أمل لا يجب أن نغفل عنه

ـ هل ستبحثي عنها؟

ـ نعم بكل تأكيد؛ حتى أصل إلى الحقيقة وأعلم من فعل بروح ذلك

ـ كم كنت أود مساعدتك ولكني تأذيت بما يكفي بسببها، لقد تعافيت وأريد مواصلة حياتي دون ألم.

همت أن تغادر ولكنها توقفت وقالت له:

ـ لا أعتقد أنك تعافيت بعد.

قالتها ثم غادرت، وظل هو جالسا في صمت يفكر في كلامها، كان يعلم في قرارة نفسه أنها على صواب، لكنه قرر أن يتناسى لعله يحيا في سلام.

.....

عندما عادت كيان إلى الفندق لاحظ البقية تغيرها، لم يحاول يوسف التحدث معها لئلا تصده كالسابق، اكتفى بمراقبتها من بعيد. لم يخفى عليها عينيه المتشبسة بها، حاولت ريتاج أن تنفرد بها لتعلم ماذا حدث بينها وبين سامح لكنها التزمت الصمت، لم تكن تعلم كيف تخبرها بما علمته. حاولت أيضا أن تقنعها باستكمال الرحلة، لكنها رفضت ذلك وأصرت على العودة إلى القاهرة، وشعر يوسف بالحزن من تغيرها المفاجىء، لقد ظن للحظة أن علاقتهما في تقدم ولكن هيهات. طلب من سارة التدخل، ولكن لم تفلح محاولاتها معها أن تقنعها بالعدول عن قرار إنهاء الرحلة بتلك السرعة.

استعدت كيان للسفر وحجزت تذكرة العودة، ولكن قبل مغادرتها الفندق فوجئت بالعامل يخبرها أن هناك شخص يريد مقابلتها، عندما نزلت لبهو الفندق وجدت سامح، لم تندهش من معرفته بمكانها، فقد كان من الواضح أنه لايزال يراقبها، سألته بتحفز:

ـ ماذا تريد مني يا أستاذ سامح؟

ـ لقد نويت مساعدتك

ـ وما سبب تغيرك المفاجىء؟

ـ أريد أن أعرف الحقيقة، وأرد لروح حقها

ـ أتريد أن ترد لها حقها، أم تتأكد من أنها كانت شريفة أم لا؟

تجنب النظر إلى عينها، لم يتقن الكذب يوما وهذا ما كانت تعشقه فيه روح، قال لها:

ـ أريد أن أعلم هل أحبتني حقا كما أحببتها، وهل تستحق أن أجلس وحيد طوال عمري دون الارتباط بامرأة أخرى، وأن أحيا على ذكراها؟

أشفقت عليه عندما أيقنت انه يخبرها بما في قلبه، قالت له:

ـ كيف ستساعدني بالضبط؟

ـ لقد علمت مكان اسماء زميلتها، إنها تعمل الآن بجريدة معروفة

ـ اخبرني باسمها

ـ ليس هناك داع، فأنا سأرافقك في تلك المهمة.

نظرت نحوه بشك فاستطرد:

ـ هل يضايقكِ هذا؟

ـ لا ولكن..

ـ ليس هناك ولكن، لقد أخذت إجازة من عملي، وسأتفرغ بالكامل لتلك المهمة لأكون معكِ.

لم تعجبها جملته الأخيرة، خاصة وقد شعرت بتغير نظراته اتجاهها، لقد كانت ذكية بما يكفي لتعلم تأثيرها الأنثوي على من أمامها، وهي الآن

تشك فيه، تخشى أن تكون مجرد ذكرى تعلق بها نظرا لذلك الشبه بينها وبين روح.

.....

كان الشرر يتطاير من أعين يوسف، بعد أن ودعته كيان وذهبت بصحبة ريتاج وسامح، لم يرتاح بتعريفها إياه على أنه صديق قديم للعائلة، أخذ يتسائل في نفسه: هل جرتني معها إلى تلك الرحلة لتصل إلى رجل آخر، ما عدت أفهمها، هل هي شخصية نقية أم مخادعة؟

حاولت سارة أن تثنيه عن قرار العودة، لكنه كان مصرا، لقد كانت تلك الرحلة هي منفذها الأخير للهروب من كل الأحداث الأخيرة التي مرت بها، شرعت في البكاء رغما عنها، لاحظ يوسف دموعها فقال:

ـ ماذا حدث؟

مسحت دموعها وقالت:

ـ لا شيء.

أدرك ما يضايقها فقال:

ـ أنا آسف أنني لم أشعر بكِ، لا تحزني سنكمل رحلتنا.

ابتهجت وشكرته ثم غادرت، ووقف هو مكانه لا يعرف ماذا يفعل، فقد كان قلبه ممزقا بين شقيقته وكيان، لقد أرضى شقيقته ولكن قلبه غادر مع كيان إلى القاهرة، يود لو يقفز من بين ضلعيه؛ ليطمئن عليها ويحميها من ذلك الشخص الغريب الذي رحلت معه.

الفصل الحادي عشر

برغم سعادة خديجة بعودة كيان السريعة؛ إلا إنها شعرت بالقلق خاصة وقد كانت ملامحها تحمل آثار حزن، حاولت التحدث معها ولكنها آثرت أن تعزل نفسها بغرفتها، وذلك أصار حفيظة خديجة خاصة في ظل وجود الثوب معها بذات الغرفة، شعرت بالندم لأنها لم تحاول التخلص منه من قبل، ولكن كيف كانت ستفعل ذلك وهو الذكرى الوحيدة من أثر روح.

اجتمعت العائلة على الغداء، خيم عليهم الصمت، قطع هذا الصمت حازم الذي لاحظ أن كيان ليست على طبيعتها ولم تمد يدها إلى الطعام، قال ليلفت انتباهها:

ـ هل تعلمون من اتصل بي اليوم؟

سألته خديجة بفضول:

ـ من؟

قال وهو ينظر نحو كيان ليرى ردة فعلها:

ـ أدهم.

لم يهتز لكيان جفن وكأن الموضوع لا يخصها، فقال موجها حديثه إليها:

ـ هل تعلمين ماذا قال؟ لقد حدثني أنه نادم على سفره، وأنه يريد إتمام الزواج في أقرب وقت.

قالت بلامبالاة:

ـ أخبره أنني النادمة على اختياري إياه.

ضيق مابين حاجبيه وقال:

ـ ماذا تعني؟

ـ أنا لا أريد الزواج منه، وأرجو من الجميع هنا عدم التحدث في هذا الموضوع لأن قراري لا رجعة فيه.

قالتها ثم غادرت لتذهب إلى غرفتها، أغلقت على نفسها تاركة والدها في حيرة وعدم فهم، نظر نحو خديجة التي بادلته بنظرة ذات مغزى أنها ستتحدث معها لاحقا.

جلست كيان فوق فراشها ونظرت نحو دولاب ملابسها، تركته مفتوحا ليطل منه ثوب الزفاف، الذي أثار حيرتها في الفترة الأخيرة، قالت محدثة إياه:

ـ لقد تركت أدهم، حررت نفسي منه وأخذت بنصيحتك.

التزمت الصمت قليلا ثم استطردت: ماذا بكِ، لماذا لا تظهري لي كالمرة السابقة؟ أنا لسة متهاونة في حقكِ، لقد فعلت ما يلزم ولن أرتاح حتى أرد لكِ حقك وانتقم ممن فعل بكِ ذلك، ولكن عليكِ أن تساعديني، الأمر أخذ منحنى خطير بعد ما علمته من سامح، هل من المعقول أن يكون كاذب، ولكن ما مصلحته في ذلك؟

قاطع تفكيرها رنين هاتفها لتنتفض فزعة، نظرت نحو الهاتف واندهشت عندما لمحت اسم سامح، سألت نفسها: ما هذه الصدفة؟

ردت عليه بتوجس وسألته:

ـ ماذا هناك؟

تغاضى عن طريقتها الرسمية معه دون ترحيب وقال:

ـ لقد تواصلت مع اسماء وحددت معها ميعاد لمقابلتها

ـ متى؟

ـ في الغد.

قالت بجدية:

ـ حسنا أعطني العنوان.

أنهت معه المكالمة، ثم عاودت النظر نحو الثوب بحيرة، حدثت نفسها: انظري ماذا فعلتِ بي، جعلتني كالمجنونة أتبادل الحديث مع ثوب، وكأنه سيرد عليّ ويريح بالي.

نهضت وتقدمت نحو الدولاب ثم أغلقته بقوة، وكأنها بذلك تنفي عن نفسها تهمة الجنون.

.....

ذهبت كيان للقاء سامح وجدته موجودا قبلها، على الرغم من حرصها على الذهاب مبكرا، عندما جلست رحب بها بحفاوة، حاولت التهرب من عينيه التي كادت أن تخترقها، ثم أخذ يتحدث معها في أشياء شتى، مرة عن

ذكرياته مع روح ومرة يتطرق لمعرفة تفاصيل عن حياتها، كانت تجاوبه بردود مقتضبة، تطرق بعد ذلك للحديث عن حياته وكيف وصل به الأمر إلى سيوة، قال لها:

ـ لقد تركت العمل بالمدرسة بعد أن عرض عليّ أحد أصدقائي العمل معه بمركز التدريب خاصته، وذهبت للعمل معه بالفعل وشعرت بالارتياح هناك، وبعد فترة قليلة تعرفت على أحد المتدربين، الذي أعجب بعملي كثيرا، وتحدثنا في أشياء شتى من ضمنها أنشطة العصر الحديثة كاليوجا وجلسات التأمل، واقترح عليّ أن أحترفهما نظرا لطول صبري على المتدربين، وبالفعل بعدها بحثت عن معلومات عنها وقررت دخول هذا العالم، فالتحقت بدورة تدريبية مكلفة جدا ولكن شهادتها معتمدة من جهات كبيرة، بعد ذلك لم يكن من الصعب عليّ ممارسة هذا النشاط، وعندما عُرض عليّ فرصة العمل بسيوة لم أتردد، وكأنني كنت أنتظر فرصة الهروب من القاهرة بأي شكل.

سألته كيان:

ـ الهروب من القاهرة أم من نفسك؟

أشاح بوجهه عنها في حزن فاستطردت:

ـ أنا آسفة

ـ لا عليكِ، أنا كنت أهرب من كل شيء بالفعل، لم أستطع أن أواجه نفسي وأكمل حياتي، لقد توقفت حياتي مع الأسف بموت روح.

لم تعرف ماذا تقول له فقالت:

ـ أعانك الله.

هم أن يقول شيئا فسألته قبل أن يسترسل مرة أخرى في الحديث:

ـ متى ستأتي أستاذة أسماء بالمناسبة؟

ـ لقد اعتذرت قبل قدومك

ـ ماذا، ولماذا لم تخبرني؟

ـ لقد أخذني الحديث و..

نهضت وقاطعته قائلة:

ـ سأغادر الآن لأنني مرتبطة بموعد

ـ ولكن نحن لم ننهي حديثنا بعد

ـ ربما في وقت لاحق.

غادرت وهي تشعر بالضيق منه، كانت تعلم أنه متسأنس بوجودها، ولكن ضميرها لن يسمح لها أن تتجاوب معه.

عندما عادت إلى منزلها لم تستطع تناول الطعام أو النوم، كانت تلوم نفسها أنها سمحت لنفسها أن تقابل سامح وحدها، هي بالطبع كانت مطمئنة لحضور اسماء لكنها لم تأتي ووضعتها في موقف محرج. استغفرت الله وذهبت لتتوضأ وتصلي، أخذت تدعو الله أن يغفر لها وأن يهديها إلى الخير.

.....

حاولت كيان أن تنفرد بنفسها في غرفتها لئلا تكتشف أمها ماذا تفعل، فقد كانت بالنسبة لها كالمرآة تقرأ ما بعينيها من نظرة واحدة. في ذلك اليوم جاءت ريتاج لزيارتها، كانت في أمس الحاجة إليها، أخبرتها عن لقاؤها مع سامح بالأمس وبعد أن انتهت قالت ريتاج لها:

ـ يبدو أنه معجب بكِ

ـ هذا ما أشعر بها أيضا، فهو يرى روح فيّ لأنني أشبهها

ـ هذه مشكلة كبيرة، لا تقابليه وحدك بعد الآن.

لم تكد تتم جملتها فإذا بسامح يتصل بكيان، نظرت الأخيرة نحو الهاتف بدهشة وقالت:

ـ إنه هو

ـ ردي عليه لعل الأمر جاد، وافتحي مكبر الصوت لأعرف ماذا يقول لكِ.

ردت عليه ببرود وجدته يخبرها أن اسماء اتفقت على مقابلتهما اليوم، همت أن ترفض فأشارت ريتاج لها أن توافق وأنها ستأتي معها ففعلت.

ذهبت كيان وريتاج للقاء سامح، تعجب من حضور الأخيرة، لم تمر سوى دقائق قليلة ثم حضرت اسماء التي رحبوا بها بود، لم تستطع إخفاء دهشتها من الشبه الكبير بين كيان وروح. استهل سامح حديثه معها بسؤالها عن أحوالها فقالت:

ـ أنا بخير حال، أعمل الآن لدى جريدة صاعدة وأشعر بالراحة هناك، هذا بالطبع بعد سنين طوال من التنقل من جريدة لأخرى وسوء التقدير.

قالت كيان:

ـ كان الله في عونك، فالعثور على عمل تلك الأيام أصبح صعبا للغاية.

قالت لها:

ـ نعم بالفعل، ولكني سعيدة اليوم للغاية؛ لأنني قابلت أحد قريب لروح، لقد اشتقت إليها كثيرا.

سألتها كيان باهتمام:

ـ هل كنتما صديقتان مقربتان؟

قالت بحزن:

ـ نعم.

أرادت التهرب منها فوجهت حديثها إلى سامح قائلة:

ـ ما الموضوع الهام الذي أردتني فيه يا أستاذ سامح؟

ـ الأمر باختصار، إننا نريد أن نعرف بمن التقت روح هناك في تركيا؟

كان واضح عليها الارتباك وهي تقول:

ـ لم تلتقي سوى بالأشخاص الذين كانوا محور سبقها الصحفي.

سألها:

ـ ولكنها عندما عادت لم تكتب أي موضوع، من هم أولئك الأشخاص؟

لم تستطع أن تخفي ارتباكها وهي تقول:

ـ هي لم تكتب شيء نظرا لانشغالها بالتحضير للزفاف

ـ هذا ما ظننته أيضا، لكنها عندما عادت لم تتحرك من منزلها، لقد ظلت ماكثة به على غير عادتها، رفضت أن تقابلني بحجة أنها مريضة، وطلبت من أمها أن تقوم هي بالإشراف على كل ما يخص الزفاف.

كانت كل من كيان وريتاج تستمعا لكلاهما باهتمام، وانتظرا رد اسماء التي تناولت كوب ماء دفعة واحدة ثم قالت:

ـ هي كانت مريضة بالفعل، وهذا ما أخرها عن مواصلة كتابة موضوعها.

سألها سامح بجدية:

ـ أستاذة اسماء لماذا أشعر أنكِ تخفين شيئا؟

قالت بارتباك:

ـ أنا لا أخفي شيء.

ثم نظرت نحو ساعتها وقالت:

ـ آسفة مضطرة أن أغادر الآن لأمر هام.

عندما نهضت قالت لها كيان برجاء:

ـ أرجوكِ يا أستاذة اجلسي معنا قليلا فالأمر جد هام

ـ أنا لا أفهم ماذا تريدون مني بالضبط؟

هم سامح بالحديث فأوقفته كيان بإشارة من يدها وقالت:

ـ أنا سأخبرك بكل صراحة، لقد علمت أن جدتي ماتت مقتولة وليس بحادث، ونحن نشك أن من قتلها هو شخص التقت به هناك في تركيا.

جلست اسماء مصدومة ودمعت عينيها، فحاولت كيان طرق الحديد وهو ساخن فقالت:

ـ أنا أشعر أن ما نريد معرفته موجود عندك، أرجوكِ لا تبخلي علينا بالحقيقة لعلها ترتاح في قبرها.

دمعت عينيّ اسماء وقالت:

ـ كيف عرفتما أنها قُتلت؟

ـ أنا عرفت بالصدفة، وأستاذ سامح كان على علم بشيء خطير وأخفاه عن الجميع.

نظرت نحوهما بقلق ثم قالت:

ـ أنا آسفة ليس لديّ ما أقوله لكما.

قالت كيان في محاولة أخيرة منها لحثها على الحديث:

ـ حتى بعد أن تعلمي أن روح بنفسها ظهرت لي، وأخبرتني أنها قُتلت وتريد أن يُرد لها حقها.

ارتعشت اسماء للحظة وقالت بخوف:

ـ هذا درب من الجنون.

ثم نهضت وقالت مُحذرة قبل أن تغادر:

ـ أرجو منكما ألا تتواصلا معي مرة أخرى.

عندما غادرت قال سامح بعصبية:

ـ لماذا أخبرتيها بذلك؟ كان عليكِ ترك دفة الحديث لي

ـ ألم ترى ترددها وقلقها، إنها تخفي شيء بكل تأكيد

ـ نعم ولكن كيف ستصدقك بهذه الطريقة؟

ـ كما صدقتني أنت

ـ أنا صدقتك لأنني مازلت على عهدي مع روح وأحبها وأفتقدها بشدة، ثم إنني..

التزم الصمت فسألته بفضول:

ـ ثم إنك ماذا؟

ـ لقد رأيتها أنا أيضا

ـ ماذا؟

ـ هذا ما حدث لي بعد وفاتها بعدة أيام، وتحديدا بعد معرفتي بأمر حملها

ـ هل تحدثت معك؟

ـ نعم، وأقسمت لي أنها بريئة وأنها كانت على عهدها معي، ولكني مع الأسف كنت تحت وطأة الصدمة فأبيت أن أصدق، وأكدت لنفسي أن كل ذلك مجرد وهم، ولم تظهر لي مرة اخرى؛ حتى ظهرتِ أنتِ.

سألته بلهفة:

ـ هل ظهرت لك قريبا؟

ـ إنها لا تتركني، كلما أغمضت عيني تظهر لي؛ تبكي وتلومني وتؤكد لي أنها بريئة

ـ لذلك ما عادت تظهر لي، لقد لجأت إليك أنت.

قال بإصرار:

ـ وأنا لن أخذلها

ـ ماذا ستفعل، لم يعد بيدنا حيلة؟

ـ لن أستسلم أبدا وسأصل إلى حل بمشيئة الله.

نظرت له بريب، لم تكن تعرف ماذا يدور بخلده، ثم ربتت ريتاج على يدها تطمئنها أن هناك حل بالتأكيد.

****

الفصل الثاني عشر

أثناء طريق عودتهم أصر سامح أن يستقل سيارة الأجرة معهم، لم تستطع كيان أن تثنيه عن ذلك خاصة وأن منزل والدته كان بالقرب من منزلها، توقفت ريتاج أولا وودعتها، ثم عندما وصلت هي ترجلت من السيارة وودعته، بإشارة من يدها وعندما التفتت وجدت يوسف خلفها، كان من الواضح أنه لمح سامح ويبدو عليه الضيق، ألقت عليه التحية ثم قالت:

ـ الحمد لله على السلامة، متى عدتم؟

قال بوجه متجهم:

ـ اليوم.

نظر نحو السيارة التي غادرت لتوها واستطرد قائلا:

ـ أليس سامح من كان بالسيارة معكِ؟

شعرت بالضيق بسبب فضوله ثم قالت:

ـ نعم إنه هو.

كادت أن تبرر وجوده، ثم امتنعت عن ذلك عندما ذكرت نفسها أنه لا داع لذلك، فوجئت به يقول:

ـ لقد هاتفتك أكثر من مرة وعندما وجدت هاتفك غير متاح؛ ذهبت إلى منزلكم واستقبلتني والدتك فسألتها عنكِ، وسألتها أيضا عن سامح.

تبدلت ملامحها وسألته بقلق:

ـ لمَ فعلت ذلك؟

ـ وما الخطأ فيما فعلته، أليس هو صديق قديم للعائلة كما أخبرتيني؟

قالت له وهي تسرع نحو المصعد:

ـ لا، إنه ليس كذلك.

اعترض طريقها وسألها بجدية شديدة:

ـ من هو إذا؟

ـ ليس من حقك أن تعرف، ويكفي أنك ستتسبب لي في مشكلة كبيرة مع أمي

ـ لماذا، أخبريني؟

ـ دعني وشأني من فضلك.

قال بغضب:

ـ لقد تأكد لي الآن أنكِ شخصية متلاعبة، لقد تلاعبتِ بي وبخطيبك من قبلي، لقد كانت نظرتي لكِ خاطئة من البداية.

وقبل أن يغادر استطرد:

ـ ولا تقلقي لم التقي بوالدتك من الأساس، لقد كان هذا اختبار لأكشفكِ على حقيقتك.

تسمرت مكانها لا تعرف ماذا تفعل، بكت رغما عنها، لم تكن تحب أن يأخذ أحد عنها انطباع سيء مثل هذا. دلفت إلى منزلها مسرعة ثم إلى

غرفتها، دفنت رأسها في وسادتها وأكملت بكاؤها، اندهشت من نفسها فهي لم تكن تعلم أن يوسف يهمها كل هذا القدر! أخذت تفكر أنها رغم التزامها أصبح في حياتها ثلاثة رجال رغما عنها. تناهى إلى مسامعها صوت شقيقها ينادي باسمها من خلف الباب، قالت له برجاء:

ـ اتركني الآن من فضلك.

قال لها:

ـ هناك امرأة تسأل عنكِ بالخارج.

مسحت دموعها وأخذت تتسائل: تُرى من تكون؟ نبئها حدسها أنها قد تكون اسماء فقالت له:

ـ أخبرها إني قادمة.

دلفت كيان إلى غرفة الصالون بلهفة، أرات أن تعرف من أرادت مقابلتها، ابتسمت عندما لمحت اسماء، رحبت بها بجفاوة وقدمت لها مشروب، قالت اسماء بخفوت:

ـ أنا آسفة على أسلوبي السابق ولكن صدقيني هذا رغما عني، لقد عانيت كثيرا حتى أنسى هذا الموضوع برمته، لم يكن سهلا عليّ فراق روح وهي كانت صديقتي الوحيدة

ـ أقدر حالتكِ

ـ أنا لم أكن مستعدة أن أبوح بما في صدري بعد كل تلك السنين، ولكن ما أخبرتني به زلزل كياني، لذا أرجوكِ لا تكذبي عليّ، هل رأيتِ روح بالفعل؟

ـ نعم، ولكن لست أنا فقط من رآها، فقد رآها سامح أيضا.

وضعت يدها على قلبها تهدأ دقاته المندفعة، ثم قالت:

ـ هذا يعني أنني لست مجنونة.

نهضت كيان وسألتها بحماس:

ـ هل رأيتيها أنتِ أيضا؟

ـ نعم ولقد ظننت أنني مسني الجنون؛ حتى أنني ذهبت إلى طبيب وخضعت للعلاج النفسي لسنوات طوال، لقد كانت فترة جد صعبة عليّ؛ لذا أرجوكِ سامحيني على تصرفي معكما اليوم

ـ لا عليكِ

ـ ولكن سامح لن يقدر أبدا، لقد حذرتني روح منه.

نظرت كيان لها بتساؤل فاستطردت:

ـ هو لن يتهاون في حقها، كانت تعلم ذلك جيدا، وخشيت عليه أن يتعرض للأذى بسببها

ـ أنا لا أفهم شيئا

ـ سأخبرك بكل شيء، ولكن قبلها يجب أن تعديني بأنكِ لن تخبري أحد على الإطلاق

ـ أعدكِ

ثم شرعت اسماء بسرد قصة عجيبة للغاية لا يصدقها عقل.

.....

كانت روح تعشق الصحافة وتطمح أن يكون لها شأن كبير في هذا المجال، كنت أنا وهي زميلتان في جريدة مرموقة استطاعت أن تحصل على تلك الفرصة بأعجوبة، أنا رضيت بمنصبي الصغير أما عنها فلا، أرادت أن تتدرج في كادر عملها بشكل سريع؛ لذا لم تكن تفوت خبرا صحفيا هاما، قبيل السفر إلى تركيا علمنا جميعا بخبر تصوير فيلم مصري سياسي من بطولة النجم السوري "باسم جسار"، أرادت روح بشدة تغطية هذا الخبر، ولكن لم يكن يسافر لتغطية الأحداث سوى زملائنا من الرجال، لم تستسلم مع ذلك، تواصلت مع مدير التحرير وزملائها للضغط عليه، ولقد كان من حسن حظها أن من سيغطي الخبر يستعد لزفافه، وتحت ضغط كبير منها ومن زملائنا وافق مدير التحرير، فطلبت منه أن تصطحبني معها، كدت أطير من السعادة عندما وافق، واستعدينا للسفر، وكلنا أمل كبير أن تكون تلك الفرصة نقلة كبيرة في كادرنا الوظيفي.

سافرنا إلى تركيا وكانت فرصة جميلة لنرى تلك البلد، فلم تتاح لإحدانا فرصة السفر خارج مصر من قبل. عندما وصلنا إلى هناك ذهبنا إلى الفندق الذي حجزت لنا الجريدة فيه، كنا في منتهى الحماس ولم نضيع دقيقة، ذهبنا إلى موقع التصوير وتعرفنا على طاقم العمل كله عدا باسم، وعندما قابلنا مدير أعماله الذي يُدعى راغب عاملنا بغلظة وحذرنا أن باسم يكره التدخل في عمله أو التطفل عليه؛ خاصة وأنه ليس بطل الفيلم فقط فهو المسؤول عن الإنتاج أيضا، وضحنا له وجهة نظرنا وأننا سنغطي الخبر فقط دون مضايقته، ولكن طريقة حديثه ونظراته نحو روح لم تكن تبشر بخير.

توقفت اسماء عندما تناهى إلى مسامعها صوت بالخارج فقالت كيان:

ـ هذا أبي، سأذهب لأراه وأعود إليكِ على الفور.

انتهزت كيان الفرصة لتتأكد أن أمها لن تصعد في القريب العاجل، نظرا لانشغالها بالعمل في المشغل مع الفتيات، واطمأن قلبها عندما خلد والدها إلى النوم بعد أن أخبرته أنها تجلس مع صديقة لها في الصالون.

عادت كيان إلى اسماء وقالت لها:

ـ اكملي، كلي آذان صاغية.

فركت اسماء كفيها تحاول تدفئتهما، ثم أكملت سردها للقصة.

انتظرنا مجيء باسم لموقع التصوير ولكنه تأخر، لم تجلس روح مكتوفة الايدي فقررت أن تقوم بعمل حوار مع طاقم الفيلم بأكمله، شرعت

بالفعل في ذلك وكان الجميع متعاون معها ومُرحب بها فهي كانت لطيفة ودودة؛ كل من يراها يحبها على الفور.

قالت الجملة الأخيرة بحزن وحسرة ثم أردفت:

ـ ثم حضر نجم الفيلم بهيئته وطلته التي توحي بثقة تامة، اندهش من وجود روح وسأل راغب عنها، فأخبره أنها صحفية وجاءت لتغطية الفيلم وعمل حوار معه، لمحتُ نظرات الإعجاب في عينيه لها، وهو يتقدم بخطوات بطيئة نحوها.

هل ستصدقيني إن أخبرتك أنني شعرت بأنه حيوان مفترس يتجه نحو فريسته؟ هذا كان احساسي، ولقد تعاظم في داخلي أكثر عندما اقترب منها وقال:

ـ أنا باسم جسار، لقد سعدت بلقائك كثيرا.

أعقبها بتقبيله ليدها، حاولت أن تسحبها لكنها لم تستطع، كان هو الأسرع، لقد صُدمت كلتانا من معاملته الرقيقة، على عكس ما أخبرنا به مساعده الخاص.

كان من المفروض أن يسعدنا ذلك، ولكن جرأته جعلتنا نود إنهاء المهمة على وجه السرعة.

سألتها كيان بفضول:

ـ لمَ، ماذا حدث؟

ـ سأخبرك، لقد عزمنا على العشاء في قصره، انبهرنا بكل شيء هناك، لقد كان راقي بحق! هذا غير القصور التي كان يمتلكها بدول أخرى، تسائلنا في دهشة عما إذا كان العمل في السينما مربح كل هذا القدر! لم نجد إجابة شايفة؛ خاصة أنه مُقل في أعماله الفنية، يكتفي بعمل واحد خلال العام بأكمله.

حاولنا الاندماج في هذا العالم الغريب، وظللت أنا أشعر بالدونية بسبب ردائي الذي لا يليق لا بالمكان ولا بالمناسبة، كان هناك الكثير من الضيوف من مختلف الجنسيات، تملكتني الدهشة كيف يعرف كل هؤلاء البشر؟ لم تكن روح تشعر مثلي، على الرغم من عدم ارتداؤها لثوب فاخر مثل الحاضرين، أظنها لم تحتاج لذلك لجذب النظر إليها، فقد انهالت عليها النظرات من كل حدبٍ وصوب، كانت كسندريلا التي اقتحمت الحفل فطغى حضورها على الجميع، لا أنكر إنني شعرت بالغيرة عندما تقدم باسم نحونا ثم طلب منها مرافقته وتركونني وحيدة، نظرت هي لي نظرة ذات مغزى ألا أتركهما وحدهما، راقبتهما بعيناي وهما يمشيان ببطء إلى أن توقفا ليعرفها على شخص يبدو عليه الوقار، أشعر أنني رأيته ذات مرة ولكن لا أعرف أين أو متى، رجحت أن قد يكون ممثل مثله، ثم بعد قليل اصطحبها إلى الشرفة وغابا هناك، قررت أن ألحق بهما فقد شعرت بالقلق عليها، ثم عندما لمحتها وهي تخرج من الشرفة في سرعة نحوي توقفت، كانت بشرتها شديدة الحمرة كالشفق عند مغيب الشمس، قالت لي:

ـ لماذا لم تنضمي إلينا، ألم تفهمي نظراتي إليكِ؟

قلت لها: فهمت ولكني شعرت بالحرج أن أتدخل، ماذا فعل معكِ؟

قالت بضيق: إنه رجل جريء لا يفقه شيئا عن الحدود والمسافات، كان يتحدث معي من مسافة قريبة ويتغزل فيّ، أخبرته أنني مرتبطة فقال لي بمنتهى البساطة: وماذا في ذلك؟

قلت لها: إنه وقح بالفعل، يبدو أن كل الممثلين متلاعبين

قالت: كم أود أن انتهي من هذه المهمة سريعا، لم أعد متحمسة لها.

بعدها انضم إلينا مرة أخرى وسألنا:

ـ أين تمكثان بالمناسبة؟

قلت له: نحن نمكث في فندق قريب من هنا

قال بحسم: هذا لا يجوز، أنتما ستمكثان هنا في قصري، فأنتما في ضيافتي منذ الآن.

حاولنا الرفض والتملص منه لكنه أصر، وأخبرنا أنه لن يتعاون معنا إلا إذا وافقنا على عرضه، قبلنا عرضه مع الأسف، ليبدأ فصل حزين من تلك القصة، وصدقا إنه بالفعل لحزين وصادم بحق.

****

الفصل الثالث عشر

ألح مصطفى على يوسف في الحضور إلى المكتب لإنهاء بعض القضايا الضرورية، حاول يوسف التملص منه نظرا لمزاجه العكر منذ أن عاد من سيوة، استجاب له رغما عنه فقد كان ملتزما في عمله، عندما وصل حاول مصطفى عرض المشكلة عليه ولكن يوسف كان فاقدا للتركيز، لاحظ مصطفى ذلك وشعر بالغيظ منه وبعد عدة محاولات للشرح له دون فائدة قال له:

ـ يوسف أخبرني أين هي كيان؟

شرد يوسف وقال:

ـ لا أعلم

ـ نحن يجب أن نسحب الوظيفة منها فهي غير ملتزمة.

وجده يقول بلامبالاة:

ـ كما تشاء.

شعر مصطفى بأن هناك شيء حدث بينهما فسأله:

ـ ماذا حدث بينكما في سيوة؟

زفر بقوة وقال:

ـ لقد ظننت للحظة أن سهام الحب أصابتها كما أصابتني، لكنني كنت واهما، اتضح أن هناك شخص آخر في حياتها، وقت أن علمت بذلك؛ اسودت الدنيا في عيني، كنت كمن يحلق في السماء ثم فجأة وقعت لسابع أرض، لم أكن أعلم أنني أحبها كل هذا القدر، فقد ظلت صورتها محفورة في قلبي منذ الصغر، هذا على الرغم من فراقنا الذي دام لسنوات

ـ الخطأ خطؤك يا صديقي فأنت كنت تعرف من البداية أنها مخطوبة

ـ الشخص الذي ظهر لنا لم يكن خطيبها، إنه شخص آخر

ـ ماذا؟

ـ أنا اندهشت مثلك تماما، فهي لا تبدو من هؤلاء الفتيات المتلاعبات، ولكني تأكدت بنفسي.

ربت على كتفه وقال:

ـ تخطاها يا صديقي، سيرزقك الله من هي أفضل منها، فأنت تستحق كل خير.

شرد يفكر، تمنى لو كان مخطئا في ظنه فيها، ولكن كيف وهي لم تدافع عن نفسها ولم تنفي اتهامه لها.

.....

أكملت اسماء قصتهما مع باسم، كانت تتحدث وعضلات وجهها منقبضة توحي بالحزن والقلق، حاولت تخفي رعشة يديها وهي تطبق بهما على حقيبتها، لاحظت كيان ذلك لذا أحضرت لها كوبا من عصير الليمون.

قالت محاولة استجماع قوتها:

ـ في الأيام الأولى لم يحدث شيء هام، لقد انشغل الجميع بتصوير الفيلم وانشغلت روح بتغطية كل صغيرة وكبيرة تخصه، كنت أساعدها ولكن بذات الوقت أراقب من حولنا، خاصة راغب الذي كان كلما لمح باسم بصحبتنا أو يتحدث معنا؛ يسرع إليه ويحاول إبعاده عنا، أما باسم نفسه فقد كان لا يخفض بصره عن روح، ويحاول مشاكستها كلما سنحت له الفرصة.

ذات يوم كانت روح وحدها في حديقة القصر مشغولة بالحديث في الهاتف مع سامح، لم تشعر بباسم الذي كان يقترب منها، لقد لمحته أنا من نافذتي وهو يتبعها وكأنه يتلصص عليها، نظرت روح خلفها فجأة لتراه، ارتبكت وأنهت حديثها مع سامح على الفور حتى لا يشعر بشيء، فقد كان شديد الغيرة عليها، نظرت نحو باسم وقالت:

ـ ماذا هناك يا أستاذ باسم؟

اقترب منها فجأة بحيث لم تكن هناك سوى مسافة قليلة بينهما وقال:

ـ لقد أتيت لرؤية القمر.

ارتبكت واحمر وجهها خجلا، ثم ابتعدت على الفور وقالت:

ـ يبدو أن حضرتك نسيت أنني مرتبطة.

قال لها بجرأته المعهودة:

ـ لا لم أنسى ولكن جمالك طاغي كالقمر، أنا لا أفهم لمَ لم يطلقوا عليكِ اسم قمر، في حين أنكِ تشبهينه كثيرا.

كان كلامه له وقع السحر عليها بوسامته التي لا تقاوم، ولكنها حاولت أن تتسم بالجدية وهي تقول:

ـ أستاذ باسم أرجوك كُف عن هذا الأسلوب.

قال بابتسامة لزجة:

ـ وإن لم أكُف عنه ماذا سيحدث؟

نظرت له بدهشة من جرأته فاستطرد:

ـ أنا رجل أنال ما أتمناه طوال الوقت بالمناسبة.

اقترب منها مرة أخرى فابتعدت عنه مسرعة وهي تقول:

ـ أنا مضطرة أن أغادر.

تتبعها بعينيه التي تشبه عينيّ الذئب، ولولا أنها غادرت في الوقت المناسب كنت سانضم إليهما، فقد قابلتني في طريقها وهي مسرعة وقالت بارتباك:

ـ أين كنتِ؟

قلت لها:

ـ كنت في الطريق إليكِ.

نظرتُ نحوه وهو يكاد يأكلها بنظراته من ظهرها وقلت:

ـ ماذا قال لكِ هذا الثعبان؟

قالت: إنه شخص لا يعرف للحدود معنى، غير محترم بالمرة

قلت: نحن لا يجب أن ننتظر يوما آخر، يجب أن نعود إلى مصر على الفور.

قالت لي بتردد:

ـ ولكن ماذا عن مدير التحرير، الذي طلب منا أن ننتظر حتى نهاية التصوير؟

قلت لها: اتركيه لي.

تحدثت بالفعل مع مدير التحرير وتفهم موقفنا، ولكنه طلب منا أن نصمد ليومين آخرين حتى يستطيع إرسال أحد غيرنا، وافقنا واتفقنا أنا وهي على ألا نفترق حتى لا ينفرد بها مرة أخرى، وأيضا قررنا أن نترك القصر ونعود إلى الفندق.

في فجر تلك الليلة أخذنا أنا وهي نعد حقائبنا، ثم لفت انتباه روح صوت ضجة بالخارج، كانت نافذتنا تطل على الجانب الآخر من القصر، والذي يحوي حديقة واسعة بها ركن للجلوس، عندما أمعنت روح النظر لاحظت وجود أشخاص متواجدين بذلك الركن، كان مظهرهم غير مريح، ثم فجأة وجدتها تحركت نحو كاميرا التصوير التي نسجل من خلالها كل شيء.

سألتها: ماذا هناك؟

لم تجاوبني واتجهت نحو النافذة بسرعة ونظرت من خلف الكاميرا باتجاه ذلك الركن، كان يبدو عليها الاهتمام؛ لذا تركت ما بيدي وانضممت إليها، عندما هممت أن أسئلها عما يحدث أشارت إليّ بالصمت وطلبت مني أن أطفيء النور، اطفأته ثم وقفت خلفها أحاول أن استشف ماذا يحدث بالخارج، وجدتها ترتجف بين الحين والآخر ثم..

لم تستطع اسماء أن تكمل فسألتها كيان بلهفة:

ـ ماذا حدث؟

ـ أريد كوب من الماء إذا سمحتِ.

ناولتها كوب الماء فشربته دفعة واحدة، وأخذت تلهث وكأنها كانت تعدو للتو، حاولت استجماع قواها ثم قالت:

ـ ما رأته روح في تلك الليلة، كان البداية لكل شيء سيء حدث معها فيما بعد.

سألتها كيان:

ـ ماذا رأت؟

ـ كنت قد لاحظتها تصور شيء ما، ثم بعدها تراجعت إلى الخلف وهي مذعورة، فسألتها: ماذا رأيتِ؟

قالت وهي ترتجف: قتلهما، قتلهما

سألتها بخوف: من قتل من؟

اعتدلت وقالت بذعر:

ـ كان هناك أربعة رجال منهم باسم وراغب، كانوا يتبادلون الحقائب ثم..

سألتها: ثم ماذا؟

قالت: كان من الواضح أنهم يتشاجرون، ثم على حين غرة قتل راغب الاثنين الآخرين، وأحدهما رأيناه بالحفل بالمناسبة، أعتقد أنه شخصية مصرية ومشهورة، لكنني لا أذكر اسمه مع الأسف.

شهقت وأنا أقول:

ـ يا للمصيبة!

قالت لي بحماسة لا تتناسب مع ذعرها قبل قليل:

ـ لقد صورت كل شيء، سأبلغ عنهم الشرطة

قلت لها: انتظري حتى نغادر القصر وافعلي ذلك

قالت معترضة: ولكن من الممكن أن يخفي كلاهما الجثتان وكل ملامح الجريمة

قلت لها: حتى إن فعلا ذلك فأنتِ صورتِ كل شيء، لذا أرجوكِ انتظري للغد حتى نغادر من هنا ولا يطالنا أي سوء.

استمعت لي وهي غير مقتنعة، لكنها وافقت على اقتراحي حتى تريحني، كانت تعلم أنني اتسم بالجبن على عكسها.

لم نستطع النوم في تلك الليلة، ثم عندما أشرقت الشمس تواصلنا مع إدارة الفندق وأكدنا معهم الحجز، بعد ذلك استعدينا للمغادرة في صمت، أخذنا حقائبنا ثم تحركنا وعندما وصلنا إلى باب القصر فوجئنا براغب الذي كان

يبدو أنه في انتظارنا، لم أستطع إخفاء توتري تحت وطأة نظراته المريبة وهو يسألنا:

ـ إلى أين في وقت مبكر كهذا؟

انعقد لساني في حين نطقت روح بكل ثقة:

ـ لقد قررنا الرحيل، وهناك صحفي سيأخذ مكاننا لتغطية الفيلم.

سألنا بريب:

ـ هكذا فجأة! ماذا حدث؟

قلت له: لم يحدث شيء ولكننا مرتبطين بأعمال أخرى.

كان يقف في مجالنا فقالت له روح:

ـ أبلغ تحياتنا للأستاذ باسم.

ثم غادرنا على مرأى منه، ظل يراقبنا بعينيه حتى غادرنا بوابة القصر؛ حينها تنفست الصعداء وشعرت بالراحة، قلت لها:

ـ لا أصدق أننا خرجنا من هذا القصر أخيرا

سألتها: هل مازلتِ عند رأيك وستبلغين عنهم؟

قالت: نعم بالطبع وما الذي سيجعلني أن أغير رأيي؟

قلت: أخشى منهم، باسم هذا ذو سُلطة وله علاقات واسعة

قالت بكل ثقة: لن ينفعه كل ذلك فقد وقع في شر أعماله.

عادت اسماء إلى أرض الواقع من جديد وقالت لكيان:

ـ لكنه لم يقع في شر أعماله مع الأسف، لقد تمادى فيما يفعل وضرب بكل القوانين عرض الحائط.

سألتها كيان باهتمام:

ـ ماذا حدث؟

ابتلعت اسماء ريقها بصعوبة وهي تتذكر تلك الذكرى العصيبة ثم قالت:

ـ فور وصلنا إلى الفندق لم تستطع كيان الانتظار، هاتفت الشرطة وأخبرتهم بكل شيء، طلبوا منها رؤيتها للإدلاء بشهادتها خاصة وهي الشاهدة الوحيدة على الحادث، رفضت ذلك وأخبرتهم أنها لا تريد أن تأتي سيرتها في هذا التحقيق، أخبروها أنهم لن يأخذوا بلاغها على محمل الجد، ولا يجوز اتهام الناس بالباطل دون دليل، أكدت لهم أن معها الدليل فطلبوا رؤيتها وبصحبتها الدليل؛ حتى يتسنى لهم إتخاذ أي إجراء وإلا لن يتحرك أحد مما سيطمس ملامح الجريمة.

اقتنعت روح بحديثهم وعزمت أن تذهب إليهم، حاولت إثناؤها عن ذلك ولكنها كانت عنيدة، قالت لي: انتظري أنتِ هنا وأنا سأذهب لأدلي بشهادتي وأعطيهم الدليل، وسأطلب منهم ألا يأتوا بسيرتي مطلقا، هل هذا يريحكِ؟

لم يريحني ولم أوافق كنت أشعر بالخوف على نفسي وعليها، تركتها لتذهب وحدها وياليتني ما فعلت.

لم تستطع اسماء كبح دموعها التي انهارت في مرارة، ثم قالت:

ـ لقد انفردوا بها وحدها، وطوال تلك السنين كنت ألوم نفسي أنني تركتها وحدها، ولكن ماذا كنت سأفعل أمام كل هذا الجبروت.

انقبض قلب كيان وشعرت أنها على مشارف معرفة حقيقة صادمة، حاولت السيطرة على أعصابها لكي تستطع أن تستعب ما تقوله اسماء.

****

الفصل الرابع عشر

جلس سامح بغرفته يفكر في كل ما حدث معه، وكيف انتقل من خلوته التي اختارها بذلك المكان البعيد ليبتعد عن كل شيء، ثم عاد ليواجه ذكرياته الحزينة مرة أخرى، التي لطالما هرب منها، لكنها مع الأسف كانت تطارده في يقظته قبل أحلامه. دخلت عليه والدته، نظرت نحوه وشعرت بالشفقة عليه، مصمصت شفتيها في حزن وقالت له:

ـ هل كلفت حالك بالسفر كل تلك الساعات، والمجيء إلى هنا لتجلس وحدك في غرفتك، ألم تكفيك وحدتك هناك؟

انتبه إليها ثم اعتدل في جلسته وقال لها:

ـ أنا آسف يا أمي ولكني اشتقت لغرفتي

ـ ولماذا تركتها إذا؟

ـ أرجوكِ يا أمي دعينا لا نتحدث فيما يخص الماضي.

اقتربت منه وربتت على كتفه في حنو وقالت:

ـ متى ستفرح قلبي يا بُني؟ كم أتمنى أن أرى أحفاد لك قبل موتي.

قال بجزع:

ـ لا تقولي ذلك يا أمي

ـ لو كنت أفرق معك من الأساس ما كنت تركتني وسافرت، ولكنك هربت مني ومن الدنيا كلها لمجرد أن تنسى..

بترت حديثها عندما نظر لها معاتبا، تذكرت وعدها إياه بعدم الاتيان على سيرة روح.

قالت له:

ـ فراقك صعب عليّ حتى ولو كنت لا أُظهر ذلك

ـ أعلم يا أمي، ولكن أنتِ من رفضتِ عرضي عليكِ؛ أن تأتي وتمكثي معي هناك.

قالت باستهجان:

ـ كيف أترك بيتي وجيراني وأحبائي؟

ـ كما فعلت أنا

ـ لا يا بُني، أنت هربت ولكن أنا لن أهرب ما حييت، وسأموت هنا وسط أحبائي.

قبل يدها وقال معاتبا:

ـ لا تقولي ذلك مرة أخرى

ـ لمَ يا سامح، وهل الموت شر؟ على العكس، فهو راحة لبني آدم.

تذكر روح عندما ماتت وتركته، لقد شعر وقتها بفراغ كبير، لم يعد يتقبل فكرة الفراق وهو من كان قوي البنيان لا يهابه أحد، الآن أصبح يهاب الموت الذي يأخذ منه أحبائه، ولكن على ما يبدو أن الحياة تبتسم له من

جديد، عندما أرسلت إليه كيان التي عوضته غياب روح بملامحها الجميلة وابتسامتها الصافية، التي تشبه ابتسامة روح كثيرا.

.....

دمعت عين كيان وهي تحاول أن تستشف ماذا فعلوا بجدتها، وهل هو قاس إلى ذلك الحد؟ لم تتركها اسماء لأفكارها كثيرا حيث أكملت لها ما حدث:

ـ لقد ذهبت إلى الشرطة بالفعل وأدلت بشهادتها وأعطتهم الكاميرا، طلبوا منها ترك عنوانها في حين أرادوا استكمال التحقيق معها، أخبرتهم أنها ستعود إلى القاهرة عما قريب، لكنهم طلبوا منها تأجيل سفرها ليومين فقط، وافقتهم وعند خروجها هاتفتني وطمأنتني أن كل شيء على ما يرام، وأنها في الطريق إليّ.

حاولت أن أهدأ قليلا، وأقنع نفسي أن القانون سيأخذ مجراه، ويحصل باسم ما يستحق من العقاب. انتظرت روح طويلا ولكنها لم تأتي، اتصلت بها لكن هاتفها كان خارج الخدمة، لم يكن بيدي سوى الانتظار، وأنا يأكلني القلق عليها، غفلت عيني لأستيقظ في صباح اليوم التالي ولم تكن روح قد عادت بعد، كدت أجن، ذرعت الغرفة ذهابا وإيابا، أخذت أفكر هل أهاتف باسم وأسئله عليها، نهيت نفسي عن فعل هذا، فذلك كان الخطر بعينه، قررت النزول إلى الاستقبال وتشاورت معهم هل أبلغ الشرطة عن اختفاء صديقتي، فقالوا لي أنه لا يجوز الإبلاغ عن اختفاء شخص إلا بعد مرور يومين، فرغت مني الحيل وخشيت على روح، كيف أصبر على

اختفائها هكذا! في اليوم التالي كدت أن أتحدث مع مدير التحرير لأسئله عما أفعل، ولكن استقبلت هاتف من شخص غريب أخبرني أن روح في المشفى، هوى قلبي بين قدمي، ذهبت إليها هائمة على وجهي، رغم خشيتي من أن يكون هذا فخ لكن لهفتي على روح غلبت خوفي.

فور وصولي إلى المشفى سألت عنها، صعدت إلى غرفتها في سرعة، تراءت لي مشاهد عديدة أتخيل من خلالها ماذا حدث معها، حاولت أن أنفض عن رأسي الظنون السيئة ورددت بيني وبين نفسي: إن شاء الله هي بخير.

فور أن دلفت إلى الغرفة أسرعت نحوها لاطمئن عليها، أوقفتني الممرضة بحركة من يدها، أخذتني جانبا وقالت:

ـ ترفقي بها ولا تتحدثي معها كثيرا.

سألتها بخوف:

ـ لمَ، ما بها؟

ـ إنها تعاني من صدمة عصبية

ـ ماذا، كيف حدث ذلك؟

ـ سيحضر الطبيب قريبا ليخبرك تفاصيل مرضها.

غادرت الممرضة فاقتربت منها ببطء، جلست إلى جابنها وأخذت أتأملها، لاحظت جُرح صغير بالقرب من فمها، كانت تتأوه بخفوت ثم أخذت تتململ في فراشها كمن تفترش الشوك، رددت بعض العبارات، استطعت

سماع بعضها بصعوبة:" اتركني.. اتركني.. انجدني يا سامح " ثم دمعت عينيها في صمت.

كانت حالتها النفسية يرثى لها، لم أعرف كيف أتصرف، هل أتحدث مع أهلها وأخبرهم، أم انتظر حتى تفيق وتتحدث معي؟ انتهت حيرتي حينما حضر الطبيب، شرع في فحصها ثم قال: حمدا لله، لقد أصبحت أفضل من ذي قبل.

سألته: لمَ حالتها هكذا، ألا تعرف؟

قال: أعرف بالطبع

سألته: ماذا بها؟

قال: إنها تعاني من صدمة عصبية نتيجة تعرضها للاغتصاب.

شهقتُ قائلة: ماذا تقول؟

سألني: هل أنتِ قريبة لها؟

قلت: إنها صديقتي وزميلتي في العمل

قال: حسنا، لقد تعرضت صديقتك لصدمة بسبب تعرضها لذلك الحادث، لقد أحضرها شخص ما وسلمها لنا، وقال أنه وجدها على الطريق في حالة يرثى لها، لقد قمنا بإسعافها وعمل الازم لها، وأعطيناها مهدىء قوي حتى تستطيع النوم وهي أفضل الآن بالفعل.

قلت: شكرا لكم

هم أن يغادر ولكنه توقف وقال:

ـ لقد أبلغنا الشرطة بالأمر والشرطي ينتظر منا إشارة بالموافقة أن يأخذ أقوالها؛ فور أن تفيق وتستعيد وعيها.

اومأت له بالايجاب ثم غادر، نظرت نحوها وجدت عينيها تدمع في صمت؛ متأثرة بما أصابها وما أشد ما أصابها، سألتها: من النذل الذي بكِ هذا يا حبيبتي؟ لم أتلقى جواب، وظللت إلى جانبها انتظر بلهفة حتى تفيق؛ لتخبرني وتخبر الشرطة بكل شيء.

غفوت إلى جانبها على الكرسي حتى صباح اليوم التالي، وجدتها تنادي باسم سامح، اقتربت منها وسألتها: روح، هل أفقتِ يا عزيزتي؟

فتحت عينيها ببطء ونظرت حولها ثم سألت: أين أنا؟

قلت لها: في المشفى

سألتني بدهشة: لمَ؟

قلت لها بحزن: لقد أحضركِ أحد إلى هنا بسبب.. بسبب

لم أعرف ماذا أقول لها، فوجدتها تبكي وتقول: لقد تذكرت

سألتها: من فعل بكِ هذا؟

كانت تجتر تلك الذكرى الأليمة، التي قسمت ظهرها إلى نصفين، وهي تقول:

ـ لقد خرجت من مركز الشرطة وهاتفتك؛ لاطمئنك أن كل شيء على ما يرام، ثم توقفت لاستقل سيارة عائدة إليكِ، فإذا بسيارة مسرعة تقترب مني وبسرعة البرق كنت بداخلها ثم لم أشعر بشيء على الإطلاق. عندما

استعدت وعيي وجدتني في غرفة غريبة أرقد على فراش يتوسطها، حاولت النهوض فلم أعرف، كنت فاقدة التحكم في أطرافي ولكن بكامل وعيي، لم يمر وقت طويل ثم دخل شخص ما حاولت أتبين ملامحه، لم أندهش عندما تبين لي أنه راغب، أخذت أفكر أنهم علموا بما فعلت ولكن كيف بتلك السرعة! وجدت باسم يدلف إلى الغرفة هو الآخر ويقول بطريقة تمثيلية: كيف حالكِ يا أميرتي؟ لقد طال نومكِ

كنت أريد أن أتحدث معه بحدة أو بعصبية، أسأله لماذا فعل ذلك، لكني كنت شبه خدرة، سألته بخفوت: لماذا خطفتني؟

قال بتهكم: أنا أخطفكِ، لا لم يحدث، أنتِ ضيفتي هنا.

ثم اقترب مني وجلس إلى جانبي، وأخذ يتحسس وجهي وهو يقول:

ـ أنا لا أعلم ماذا فعلت لكِ لتفتني عليّ إلى الشرطة.

حاولت الابتعاد عنه دون جدوى، لم أعرف ماذا أقول فاستطرد:

ـ لا تقلقي يا أميرتي، لقد أصلحت كل ما أفسدتيه عند الشرطة.

كنت أحاول الابتعاد عنه وهو يقترب من وجهي ويؤكد لي:

ـ أنا أمتلك الشرطة هنا وأمتلك الكثير من الأشياء، ومنذ أن عرفتك وأنا أتمنى امتلاكك أيضا.

رجوته في وهن: ابتعد عني أرجوك.

لمحت راغب وهو يغادر ويغلق الباب خلفه، ثم بدأ الحقير في خلع ملابسي ويحاول الاعتداء عليّ، وأكثر ما قهرني أن ما حدث كان دون أدنى مقاومة من جانبي، لم أستطع سوى البكاء على شرفي الذي دنسه هذا النذل، لقد دمرني ودمر حلمي بالزواج ممن أحب.

أخذت في البكاء بعدها فاحتضنتها بقوة أحاول تهدئتها، كانت تقول من بين دموعها:

ـ صدقيني يا اسماء كنت أود الصراخ فيه، أقاومه، أنبش أظافري في وجهه الذي يتباهى به، لكنه لم يسلب مني شرفي فقط، فقد سلب مني أدنى شعور بالمقاومة، بعدها هددني بكل برود ألا أفتح فمي مرة أخرى وأتعظ مما حدث معي، ليس هذا فقط، فقد أخبرني أن ما حدث تم تصويره صوت وصورة، وأنه سيرسل هذا الفيديو إلى عائلتي ويفضحني بين معارفي، إذا ما تحدثت مع أحد عما رأيته.

لقد كانت في حالة يرثى لها وأكثر ما ضايقها أنها لن تستطيع أن تأخذ حقها منه، هذا ما شغلها حتى بعد أن عدنا إلى مصر، ولقد لاحظ الجميع التغيير الذي طرأ عليها لكن لم يعرف سببه أحد.

بعد أن انتهت قالت كيان والدموع تملأ عينيها:

ـ لقد عانت كثيرا المسكينة.

ثم نهضت وقالت بحماسة:

ـ أنا لن أترك حقها، لن ينعم ذلك النذل بيوم هانىء بعد اليوم.

سألتها اسماء بقلق:

ـ ما هذا الذي تقولينه؟ لقد زاد جبروت باسم عن ذي قبل، ولن تستطيعي فعل شيء معه؛ خاصة وأن كل معالم جريمته اندثرت

ـ لن أظل مكتوفة الايدي واترك حقها، ثم إن سامح من الممكن أن يساعدني.

قالت اسماء بقلق:

ـ لا، سامح لا، لقد كان أكثر ما تخشاه روح هو أن يعرف سامح بما حدث لها، كانت تعرف أنه لن يتهاون في استرداد حقها ويقتل باسم، هي لم تكن تريد زجه في هذا الأمر الذي سيضيع مستقبله بكل تأكيد.

فكرت كيان قليلا ثم قالت:

ـ وجدتها، أنا أعرف شخص يعمل بالمباحث، سأستعين به

ـ كيان أرجوكِ لا تجعليني أندم على مصارحتك بالحقيقة، لا أريد أن يصيبكِ مكروه أنتِ الأخرى، لقد قتلها مرتين بدمٍ بارد، لقد كان هو بالمناسبة من دبر ذلك الحادث الذي أودى بحياتها

ـ ولماذا قتلها طالما التزمت الصمت حتى تؤثر شره

ـ ومن قال لكِ أنها التزمت الصمت، لقد أخذت هدنة فقط لتستعيد توازنها حتى تتمكن من الثأر منه.

سألتها كيان بلهفة:

ـ ماذا فعلت؟

ـ لقد..

بترت كلماتها حينما فتح أحدهم الباب، وشعرت كيان بالقلق أن تكون أمها.

****

الفصل الخامس عشر

أنهت خديجة عملها وصعدت إلى شقتها، فور أن علمت من حازم؛ أن هناك ضيفة تجلس مع كيان منذ فترة، كان يتحدث معها بحسن نية ونسى تماما طبيعتها المتشككة التي لم تتخلى عنها يوما. فتحت الباب وطلت عليهما بوجه فضولي، دلفت إلى الداخل وهي مبتسمة ثم قالت لكيان:

ـ ألن تعرفيني على ضيفتنا؟

ارتبكت كيان ولم تعرف ماذا تقول، تبادلت النظرات مع اسماء في قلق، كان آخر همها أن تعرف أمها بما يدور بينهما، فهي شديدة القلق والتوتر فما بال إذا عرفت الحقيقة، بعد أن تفرست خديجة في ملامح اسماء قليلا، تبدلت ابتسامتها وقالت وهي تشير إليها:

ـ أنا أعرفكِ، لقد رأيتكِ من قبل.

لاحظت اسماء توتر كيان فقررت الانسحاب، نهضت وقالت:

ـ لقد تذكرت أنني مرتبطة بموعد، سأضطر أن أغادر الآن.

كانت قد تحركت بالفعل باتجاه الباب وكيان في عقبها، التي مالت على أذنها وقالت:

ـ للحديث بقية.

أومأت اسماء لها بالايجاب ثم غادرت من فورها.

عندما عادت إلى غرفتها دلفت خديجة إليها وقالت:

ـ من هذه المرأة يا كيان؟

ـ إنها صديقة لي، وقد وقعت في مشكلة وكنت أساعدها.

أخذت تفكر قليلا ثم قالت:

ـ أشعر أنني رأيتها من قبل

ـ ربما رأيتيها بصحبتي.

قالت مؤكدة:

ـ لا لا، ليس بصحبتك، أشعر أنني رأيتها منذ زمن.

حاولت كيان إلهاؤها فقالت:

ـ لا تشغلي بالكِ بها، وأخبريني ماذا صنعتِ لنا على الغداء؟

نسيت خديجة اسماء وكل ما شغلها قبل تلك اللحظة وقالت:

ـ لقد أعددت لكم البيتزا التي تعشقونها.

قالت كيان بمرح:

ـ كنت مشتاقة إليها كثيرا، شكرا يا أحن أم في الدنيا.

سألتها بحب:

ـ هل أنا بالفعل أحن أم في الدنيا؟

ـ نعم، ولكن تشارككِ في هذا اللقب أم حنونة كثيرا تُدعى وفاء.

سألتها بفضول:

ـ ومن هي وفاء؟

ـ هي أم لصديقة لي، لديها ثلاث فتيات تعشقهن كثيرا وتعاملهن كالأميرات

ـ وماذا بعد؟

ـ لقد مرت بمحنة كبيرة في حياتها، ولكنها استطاعت أن تمر منها إلى بر الأمان وبصحبتها فتياتها، فأنصفها الله ورزقها ما تمنت، وعوضها عن سنين عجاف من المحن والابتلاءات

ـ كم أتمنى التعرف عليها

ـ سأعرفك عليها ذات يوم

ـ وأنا منتظرة بفارغ الصبر.

شعرت كيان بالراحة، لأنها استطاعت صرف انتباهها عن اسماء، ثم رافقتها إلى المطبخ لتساعدها في إعداد المائدة، وبين الحين والآخر تتذكر ما حدث مع جدتها فتتبدل ابتسامتها إلى العبوس، لاحظت خديجة ذلك ولكنها حاولت إضحاكها، ولكن بداخلها كاد الفضول أن يأكلها، وهي تحاول أن تتذكر من تلك المرأة، فقد كانت على يقين أنها ليست صديقة لكيان، فالفارق في العمر بينهما كبير.

.....

استيقظت كيان من نومها ليلا لتشرب، فلمحت في الظلمة خيال لشخص ما، شعرت بالقلق، اقتربت منه بحرص، رأت روح وهي تجلس على الكرسي أمام المرآة، انتفضت وقالت: سلامٌ قولا من ربٍ رحيم، هل أتخيل أم أنكِ ظهرتِ لي مرة أخرى؟

نظرت روح إليها من خلال المرآة وقالت لها:

ـ هل يجب أن أظهر إليكِ كل مرة لأحثكِ على الأخذ بثأري؟

ـ أنا لست متقاعسة عن ذلك أبدا، والدليل أنني عرفت كل شيء من اسماء بعد بحث طويل، في حين أنكِ لم تسهلي عليّ المهمة قط

ـ لم تعرفي كل شيء بعد

ـ نعم بسبب حضور أمي المفاجيء، لقد أتت في لحظة فارقة

ـ تلك هي طبيعتها، تقطع دوما اللحظات الفارقة وأيضا المفجعة، هل كنتِ تعلمين أنها هاتفتني وقتما كان باسم النذل يسلبني شرفي، لقد شعرت بحالي وأنا بعيدة عنها، شعرت بانكسار نفسي وانتهاك روحي.

دمعت عينيّ كيان ثم استطردت روح:

ـ وعندما عدت إلى مصر حاولت ألا أظهر لها هي وشقيقتي حالتي، هل تعلمين أنها كانت الأقرب لي من شقيقتي هناء، مع العلم أن هناء هي من ربتني بعد وفاة أمي وأنا صغيرة.

لقد تعمدت الضحك أمامهما لئلا تشعران بشيء، ولكن هيهات، كانت خديجة تسألني تقريبا كل ساعة: "هل أنتِ بخير" كنت أؤكد لها أنني بخير ولكنها لم تصدق لساني وشعرت بقلبي الذي كاد ينفطر من الحزن، أما عن هناء فقد كانت تربت على كتفي وتحتضنني، كم كنت أحتاج لحضنها ليشعرني بالدفء الذي أصبحت أفتقده ولم أعد أعرف له طريق.

وحده سامح الذي لم أستطع التمثيل عليه أوالتظاهر أنني بخير، لقد طلب رؤيتي كثيرا وفي كل مرة كنت أتهرب منه، فكان يأتي إلى منزلي وتستقبله هناء وتقول له أنني متعبة ونائمة، لقد شعر أن هناك خطب ما، لم أكن روح حبيبته، تحدث معها وسألها عني: ماذا أصابها؟ لكنها لم تكن تعرف شيء لتخبره به، لم يكن منه سوى أنه عجل بميعاد زواجنا، وأنا لم أعارض، على العكس التزمت الصمت وقد ظن الجميع أن صمتي موافقة ضمنية.

نكست رأسها بحزن وأردفت: لقد كانت فترة صعبة للغاية

سألتها كيان:

ـ لماذا لم تصارحيه بالحقيقة؟ فهو كان سيعلم بعد زواجكما

ـ لم أستطع، كنت أخشى من وقع الصدمة عليه، وأيضا كنت أعلم أنه لن يتوانى عن الانتقام فهو رجل بمعنى الكلمة، لم أعرف رجل في شهامته ونخوته

ـ كنتِ تركته ينتقم لكِ

ـ هذا ليس انتقام بل انتحار، وقوف سامح في وجه باسم بحاشيته هو الانتحار بعينه، لقد قتلني ولكن أن يقتل سامح لا وألف لا

ـ الهذه الدرجة تحبينه؟

ـ إنه حب عمري، تفتح قلبي على حبه، ولم أكن أتخيل حياتي من دونه، لذا أرجوكِ يا كيان لا تدعيه يعرف الحقيقة

ـ حتى بعد مرور كل تلك الأعوام

ـ نعم، فقد فارقت روحي جسدي لتحلق حوله.

دمعت عين كيان وهمت أن تسألها عن الدافع الذي جعل باسم يقدم على قتلها، ولكنها سمعت دقات عالية على بابها، لم تكن تريد أن تفتح، أرادت أن تعرف الحقيقة من روح بشدة ولكنها سمعت والدها ينادي باسمها ويقول:

ـ كيان استيقظي بسرعة، والدتك داهمتها غيبوبة سكر.

نهضت بسرعة من فراشها، أضاءت النور ونظرت حولها بدهشة، لم تكن روح جالسة أمام المرآة، لم يكن هناك وقت لتتسائل ما إذا رأته قبل قليل كان حلم أم حقيقة، ثم ذهبت من فورها لترى أمها.

***

انتهى حسين من فحص خديجة، كان طبيبا وصديقا للعائلة، لن تكن خديجة ترتاح مع طبيب غيره، ساعده أنه يقطن بالقرب منهم، حيث فور أن يحتاجون إليه يسرع إليهم من فوره، سأله حازم بقلق:

ـ هل هي بخير الآن؟

قال حسين:

ـ نعم، ووجودي هنا لم يكن ضروري، كيان قامت بالواجب وأكثر، لقد أصبحت ماهرة في ذلك الشأن.

جلست كيان على طرف السرير بالقرب من خديجة وقالت لها:

ـ ألن تكفي على إقلاقنا عليكِ بهذا الشكل؟

التزمت خديجة الصمت، كان من الواضح أنها لم تستعد وعيها بالكامل بعد، ثم اصطحب حازم حسين معه إلى الخارج ليتناولا القهوة ويتناقشا في حالتها، التي أصبحت تسوء يوما بعد يوم.

همت كيان أن تنهض، فأمسكت خديجة بيدها بوهن، ابتسمت لها وقالت:

ـ أتريدينني إلى جانبك؟ حسنا لن أغادر.

فوجئت بها تقول لها بخفوت:

ـ تلك المرأة التي كانت بصحبتك بالأمس، لقد تذكرتها، كانت زميلة روح بالجريدة.

شعرت كيان بالقلق، الآن فهمت سر مرضها المفاجىء، وجدتها تكمل:

ـ لقد رأيتها يوم العزاء، كانت تبكي بشدة، عندما صافحتني وأخذت تواسيني؛ لمحت في عينيها الكثير والكثير، شعرت أنها تعرف شيء نحن لا نعرفه، عندما قلت ذلك لوالدك قال لي أنني مصابة بجنون الارتياب، ولكني لست كذلك، أنا على يقين أن روح أخفت عني شيئا، وأنتِ أيضا

ـ يا أمي أنا..

قاطعتها:

ـ أنتِ لا تجيدين الكذب، وأنا أشعر بكِ بقلبي كما كنت أشعر بروح، أنتِ تخفين عني شيئا.

التزمت الصمت لم تكن تعرف ماذا تخبرها وهي بحالتها تلك، فوجئت بها تقول وكأنها قرأت أفكارها:

ـ لا تقلقي على حالتي الصحية، أنا بخير حال، ما أتعبني هو كثرة التفكير.

كانت كيان في صراع لا تعرف له حل، ثم دخل حازم عليهما لينقذها من ذلك الموقف الحرج، قال:

ـ كيف حالكِ الآن يا حبيبتي؟

قالت خديجة:

ـ أنا بخير.

انتهزت كيان الفرصة لتنسحب في هدوء، وتركت والدها معها، نظرت نحوها خديجة بعتاب ولكن كانت كيان كمن نفدت بروحها.

***

جلست كيان تفكر في كل ما يحدث معها، لقد تلاحقت عليها الكثير من الأحداث خلال فترة قصيرة، ولكن أكثر ما كان يقلقها؛ هو أن تعرف أمها بالحقيقة المُرة التي توصلت إليها. دق الباب ففتحت لتجد ريتاج التي سألتها بعصبية:

ـ أين كنتِ، ولم لا تردين على هاتفك؟

ـ اهدئي أولا وسأخبرك بكل شيء

ـ لا لن أهدأ، لقد تملكني القلق عليكِ.

شعرت كيان بالامتنان لها فقالت:

ـ أنا آسفة.

لم تهدأ ريتاج مع ذلك وقالت معاتبة:

ـ منذ متى نبتعد عن بعضنا هكذا؟

ـ صدقيني لم يكن بيدي، تعالي اجلسي لأخبرك بكل شيء.

جلست ريتاج واستمعت لكل كلمة قالتها وهي لا تكاد تصدق، كانت تشعر بالغرابة من كل ما حدث مع روح وعندما انتهت قالت لها:

ـ وكأنها قصة فيلم!

ـ مع الأسف كل ما حدث معها كان حقيقة

ـ ولكن ينقصنا نهاية القصة

ـ لقد كنت سأهاتف اسماء لأحدد موعد لمقابلتها، وأعرف منها باقي القصة ولكن مرض أمي المفاجىء منعني من ذلك

ـ لا تحملي هم، اذهبي أنتِ لمقابلتها، وأنا سأظل هنا إلى جانبها واعتني بها

ـ لا أعلم كيف أشكركِ

ـ نحن أختان ليس هناك داع للشكر.

تواصلت بعدها كيان مع اسماء وطلبت رؤيتها، فوافقت وذهبت لتقابلها.

.....

عندما استقلت كيان المصعد تمنت لو ترى يوسف، اندهشت من نفسها وشعورها نحوه المفاجىء، أخذت تفكر أنها عاملته بسوء في حين هو عاملها بأفضل معاملة، بل وصبر عليها وعلى غيابها عن العمل برغم حداثتها به، أنبت نفسها على طريقتها الجافة معه، مضت في طريقها بعصبية بسبب شعورها بالذنب، ثم لم تنتبه فكادت أن تصطدم بلوح من زجاج كان يحمله عاملان، ولولا يوسف الذي أمسك بيدها في اللحظة الأخيرة؛ لكانت في خبر كان، نظرت نحوه غير مصدقة أنه هو من أنقذها ليزداد شعورها بالذنب.

تنفس العاملان الصعداء وقال أحدهما:

ـ احترسي يا آنسة، لقد كدتِ تؤذين نفسكِ وتقطعين عيشنا.

ثم غادر الاثنان، وهم يوسف أن يغادر هو الآخر فاستوقفته قائلة:

ـ شكرا جزيلا يا يوسف.

قال بلهجة تشوبها الغضب:

ـ ليس هناك داع للشكر، ما فعلته كنت سأفعله مع أي شخص.

كان يتجنب النظر إلى عينها وقلبه يدق بقوة، لقد تمنى صباح هذا اليوم أن يراها لأنه اشتاق إليها كثيرا؛ لكن نفسه كانت تأبى مسامحتها على معاملتها إياه، لاحظت هي ذلك فقالت بندم:

ـ أنا آسفة.

للحظة اندهش من تغير أسلوبها المفاجىء معه، ظن أنه لم يسمعها جيدا فسألها:

ـ ماذا قلتِ؟

ـ قلت إني آسفة، في المرة الأخيرة تركتك تأخذ انطباع سيء عني؛ في حين أنا لست كذلك أبدا.

التزم الصمت ونظر نحوها بريب فاستطردت:

ـ صدقني أنا لست متلاعبة، وسامح الذي كان بصحبتي كان خطيب جدتي.

نظر لها غير مصدق وقال بتهكم:

ـ خطيب جدتك!

ـ في الحقيقة هي شقيقة جدتي، ولم تكن كبيرة في العمر، بينها وبين أمي ثلاث أعوام فقط، وهي بالمناسبة سبب تبدل حالي في الفترة الأخيرة وأيضا..

بترت كلماتها عندما نظرت حولها، وفطنت أنهما يقفان في مدخل العقار فقالت:

ـ لا يصح أن نتحدث هنا.

قال على الفور وقد راقه أنها بدأت تفتح قلبها له:

ـ انني أعرف مكان قريب من هنا لنجلس به

ـ كنت أتمنى ذلك، لكنني مرتبطة بموعد مع أحدهم الآن.

أشاح ببصره عنها بحزن فاستطردت:

ـ إنها امرأة في الحقيقة و..

ابتسمت فجأة وقالت:

ـ ولم لا؟

ـ ماذا تعني؟

ـ هل من الممكن أن تاتي معي في هذه المقابلة؟

ابتسم وقال:

ـ نعم ولم لا.

ثم دعاها لتستقل معه السيارة، فرفضت بحجة أنها لا تستقل السيارة مع رجل وحدها، فعرض عليها أن تجلس بالمقعد الخلفي كالسيارة الأجرة، راق لها الاقتراح، وتخلت عن حذرها وركبت معه، ومن أعلى كانت ريتاج تشاهدهما من الشرفة وهي تشعر بالغرابة، ولسوء حظها كانت خديجة تشاهدهما من نافذة غرفتها هي أيضا.

****

الفصل السادس عشر

أثناء طريقهما معا شرعت كيان في سرد قصة جدتها؛ بداية من ثوب زفافها إلى ما اكتشفته في الوقت الحالي، كان يستمع لها مندهشا، ولولا أنه يثق بها لكان ظن أنها أصابها الجنون أو تدعي ما قالته، بعد أن انتهت دون الخوض في تفاصيل لا داع لها؛ وجدته يبتسم لها في مرآة سيارته، سألته بضيق:

ـ ما سر تلك الابتسامة؟

ـ لاشيء، لقد أرحتِ قلبي فقط

ـ وكيف ذلك؟

ـ حقيقة انشغالك وطبيعة معرفتك بسامح، أقصد..

بتر كلماته ولكنها فهمت مقصده، وبالرغم من أنها متضايقة بسبب نظرته الضيقة للأمر؛ إلا أنها كانت سعيدة باهتمامه بها، وبنظرة الإعجاب التي ينظر لها بها كلما رآها، تذكرت أدهم الذي برغم كل سنوات معرفتهما، إلا أنه لم ينظر لها مثل تلك النظرة، اندهشت من تفكيرها وحالها الذي تبدل، انتبهت على قوله لها:

ـ أنا آسف، لم أقدر حجم المشكلة التي تعانين بسببها.

عقدت ساعديها وقالت:

ـ ما حدث أفادني كثيرا

ـ كيف ذلك؟

ـ لقد تحررت من الكثير من القيود، والغشاوة التي كانت على عيني تبددت شيئا فشيئا، والفضل في ذلك يعود لجدتي

ـ هل تعلمين، كم أتمنى رؤيتها.

ضحكت وقالت:

ـ سأريك صورتها، لكن أن تظهر لك روحها فانسى ذلك تماما.

لاح لهما المكان الذي سيلتقيان فيه باسماء، فتوقف واصطف بسيارته، قالت له قبل أن يلتقيا بها:

ـ نحن لا نريد أن نخيفها، دعني أتحدث والتزم أنت الصمت، فأنا أخشى عندما تراك تتراجع عن الحديث معي

ـ حسنا، لكِ هذا.

عندما رأت اسماء يوسف كان واضحا على ملامحها الضيق، جلس كل من كيان ويوسف، ثم حضر النادل وسألهما عما يشربا فقال الاثنان في صوت واحد:

ـ كوب من الشاي.

نظرت كيان إليه وابتسمت للحظة، كانت اسماء تراقبهما وشعرت بحاستها الصحفية أن هناك شيء ما يدور بينهما، تذكرت سامح الذي كانت تراه غير كل الرجال، لقد أعجبت به بداية من حكايات روح معها عنه، لقد أرادت

أن تقترب منه لكنه صدها، التمست له العذر فهو كان مودعا معشوقته لتوه، ولم يكن لها مكان في قلبه، الذي أبى أن يستضيف زائرة أخرى سواها.

استهلت كيان حديثها قائلة:

ـ هذا يوسف، هو جارنا وصديق لي يود المساعدة.

نظرت لها اسماء معاتبة فاستطردت:

ـ لا تقلقي منه البتة، هو شخص آتمنه على أسراري.

نظر لها يوسف بامتنان، تراقص قلبه فرحا، انتبه من حالته الوردية على قول اسماء:

ـ اعتقدت أننا كنا متفقتان على ألا نخبر أحد ثالث

ـ نعم، ولكن ما أخبرتني به مسؤولية كبيرة ولن أتحملها وحدي، ولقد نهيتني أن يعلم سامح بأي شيء، وهو من كان سيساعدني على الاقتصاص من المجرم باسم، وأنا لن أستطيع أن أتصرف وحدي في الأمر؛ لذا استعنت بيوسف

ـ أنتِ لا تفهمين، أنا أخبرتك بالقصة فقط لتضعي نهاية لأفكار انتقامك تلك.

ثم وجهت حديثها للاثنين قائلة:

ـ باسم لن تكفيه عصابة من المجرمين للقضاء عليه.

همت كيان أن تنطق فقاطعها يوسف قائلا:

ـ الدنيا تغيرت، الآن أصبح هناك سوشيال ميديا والفضائح تتنشر من خلالها في سرعة رهيبة، وإذا لعبنا على تلك النقطة؛ ستكون في صالحنا ونقضي عليه بصورة أسرع بالتأكيد.

نظرت له كيان بإعجاب وتناست أنه أخل باتفاقهما قبل قليل بالتزامه الصمت، لكنها شعرت أنه سيكون مفيدا لها بالتأكيد.

قالت اسماء:

ـ باسم لن يهتم بتلك الفضائح سيدعي أنها مجرد اشاعات.

قال يوسف بثقة:

ـ مكانته الإعلامية الآن تحتم عليه أن يحافظ على سمعته جيدا، ثم إنني سمعت أنه مُرشح لمنصب هام، فهو نشيط كثيرا على ما يبدو، فهو لم يكتفي بكونه ممثل مشهور ووجوده طاغيا على الساحة الفنية، لقد احترف الإنتاج ثم الإعلام وها هو الآن مُرشح لمنصب هام كما تتداول وسائل الإعلام تلك الأيام، وهناك مقولة شائعة تقول:" الصداع الذي لا يصيب يدوش"

قالت كيان:

ـ نعم بالفعل، أنا معك في ذلك.

قالت اسماء:

ـ أنتما لم تتعظان مما فعله مع روح، هي أيضا أرادت الثأر لنفسها فكانت النتيجة أنه قتلها بدم بارد، فهو سهل عليه القتل والا...

بترت كلماتها وفهمت كيان مقصدها، سألتها:

ـ أخبريني بقية القصة أرجوكِ

ـ حسنا ولتكن عبرة لكما فيما تفكران فيه.

واستمع لها الاثنان بآذان صاغية.

.....

ذات يوم كانت روح تعتزل منزلها كعادتها مؤخرا؛ عقب عودتها من تركيا، كانت قد أخذت إجازة من عملها بحجة اقتراب موعد زفافها، ثم تواصلت مع صحفي زميل لها، وتحدثت معه فيما يخص خبر سيهتز له الوسط الفني، وعلى الصعيد الإعلامي سيكون صدمة، هي بالطبع لم تخبرني بكل ذلك ولكن هذا الصحفي كان زميلا وصديقا لي، عندما أخبرني بهذا شعرت بالقلق عليها، ذهبت لزيارتها في منزلها، قابلتني بفتور، سألتها عما بها فقالت "وهل يفرق"، كانت نبرتها تحمل مرارة لا حد لها، دخلت في صُلب الموضوع وسألتها عما تدبر له مع ذلك الصحفي، قالت لي:

ـ عندما شعرت بخوفك من باسم قررت استعين بأحد يجيد البحث والتنقيب، وبالفعل وجدته وهو بالمناسبة لا يخشى من شيء، وسيساعدني بكل ما يستطيع.

سألتها بدهشة: وكيف سيساعدك من غير دليل.

قالت لي ببرود يسبق العاصفة: وما أدراكِ أنني ليس مع دليل؟

قلت لها: على حد علمي أنكِ سلمتِ الكاميرا إلى الشرطة هناك

قالت لي: نعم بالفعل ولكن قبلها نقلت نسخة من الفيديو على هاتفي

سألتها: ولماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟

قالت بضيق: وهل كان سيفرق معكِ، أنا أعلم موقفك جيدا قبل حتى أن أبلغ عن الحادثة في حينها.

قلت بعصبية:

ـ هذا لأننا لسنا جديرين بالوقوف أمامهم، لا نملك سطوتهم وسلطتهم، وأظن يكفي ما فعلوه معكِ.

ندمت على ما قلته لها عندما خفضت بصرها بحزن، قلت بسرعة: أنا آسفة، ولكني حقا أخشى أن يؤذونكِ

قالت بعصبية هادرة: ماذا سيفعلون معي أكثر مما حدث؟ لقد قضى ذلك المجرم على حياتي، زفافي سيكون بعد أيام، ولا أعلم كيف سأتزوج بمصيبتي تلك!

ثم أمسكت برأسها على إثر دوار أصابها، وكادت أن تقع فأسرعت نحوها أسندها، قلت لها: اهدئي يا حبيبتي، سنجد حل لا تقلقي.

لقد تركتها في هذا اليوم وأخذت أفكر كيف أساعدها، فأنا لن أتركها وحدها في هذه المعركة، تواصلت مع الصحفي وأخبرته ألا يفعل شيئا دون

أن يطلعني على كل شيء، ولقد طمأني بالفعل؛ لكن بعدها بيومين فوجئت بخبر في الجريدة التي يعمل بها زميلي، أن هناك سبق صحفي للجريدة سيتناول مفاجأة تخص باسم وبالأدلة الدامغة.

وقد كان معظم الشعب المصري شديد الإعجاب بالممثل الشهير؛ لذا كان الإقبال جماهيري على متابعة كل ما يخصه. شعرت بالقلق وقتها وحاولت الاتصال بروح ولكنها لم ترد عليّ، حتى صديقي لم يرد عليّ هو الآخر، ما زادني قلقا هو معرفتي بوجود باسم في مصر، ولقد انتظرت العدد الجديد من الجريدة كباقي القراء المنتظرين، وقبل نزول العدد بيوم واحد سمعت خبر وفاة روح في حادث سير، كدت أن أجن ولم أصدق ما حدث؛ حتى ذهبت إلى بيتها ورأيتهم يستقبلون المعزيين، انهرت بكاء ثم عندما رأيت سامح شعرت بالشفقة عليه، كان أكثر مني انهيارا ولكنه ادعى التماسك، بعدها أردت التحدث معه بخصوص روح، كنت أريد بشدة أن أطلعه على الحقيقة لكن حديث روح عنه منعني؛ لذا ابتعدت عنه وحاولت التواصل مع صديقي الصحفي فلم أجده، بحثت عنه في كل مكان، فكان وكأن الأرض انشقت وابتلعته، شعرت بالخوف أن يكون قد أصابه مكروه هو الآخر؛ لذا آثرت الابتعاد، غيرت عنوان مسكني، وتركت عملي وحاولت البداية من جديد في مكان بعيد لا يعرفني فيه أحد.

بعد أن انتهت سألتها كيان:

ـ والصحفي لم يظهر الى الآن؟

ـ لا مع الأسف.

سألها يوسف:

ـ ولماذا ظهرتِ أنتِ وعدتِ لمجال الصحافة من جديد؟

ـ لأن الموضوع أصبح في خبر كان، ولم يعد باسم يعيره اهتمام.

قالت كيان:

ـ أغلب الظن أن الدليل الوحيد الذي كان ضده؛ أصبح في يده؛ بعد أن قضى على روح وأزاح هذا الصحفي من طريقه.

سأل يوسف:

ـ ما اسم هذا الصحفي بالمناسبة؟

ارتبكت اسماء ثم قالت:

ـ نادر

ـ اسمه بالكامل إذا سمحتِ

ـ لا أذكر.

نظر يوسف لها بريب، تبادلت كيان النظر إليه، حاولت أن تستشف كيف يفكر فوجدته يقول:

ـ ما أنا مندهش منه؛ أنكِ فتحتِ قلبك بالفعل وأخبرتيها بالحقيقة، لماذا الآن تخفين حقيقة هذا الصحفي، ماذا بشأنه؟

اندهشت كيان من طريقته الحادة في الحديث معها، ولكنها نفضت عنها الدهشة عندما وجدت اسماء تقول:

ـ هو لا يعنيكما في شيء، لقد عانى كثيرا بسبب روح، اختفى عن الأعين وترك حياته كلها حتى لاتطاله أذية باسم.

سألتها كيان بدهشة:

ـ هل تعرفين مكانه بالفعل؟

ـ نعم، ولكني أخشى عليه فهو.. هو زوجي.

ابتسم يوسف وكأنه كان على علم بذلك، أما عن كيان فقد ألجمت لسانها المفاجأة.

****

الفصل السابع عشر

شعرت كيان بالضيق من برود اسماء؛ التي كل ما يهمها هو زوجها، ولمَ لم يحاول أحدهما إظهار الحقيقة؟ سألتها بغيظ:

ـ أخبرينا أين هو؟ فهو أملنا الوحيد.

قالت اسماء:

ـ أنا آسفة لن أخبركما بمكانه ولا اسمه، يكفي ما عانيناه أنا وهو، أرجو أن تلتمسوا لي العذر.

قالت كيان:

ـ وحق روح، هل ستتركيه يذهب هباء؟

ـ هي من فعلت ذلك بنفسها، لقد حذرتها من خطورة باسم وسطوته؛ لم تسمعني وخاضت في ذلك الأمر، وأنا فعلت ما طلبته مني في البداية، لقد طلبتِ أن تعرفي الحقيقة وها هي، دوري انتهى الآن.

نهضت لتغادر فاستوقفتها قائلة:

ـ سؤال أخير إذا سمحتِ، هل لازال زوجك معه نسخة من الفيديو أم لا؟

ـ بالطبع لا، لقد اكتفينا أنا وهو وورينا التراب على هذا الموضوع، وأتمنى من كلاكما أن تفعلا مثلينا لمصلحتكما.

قالتها ثم غادرت، وظلت كيان تفكر بحيرة ثم سألت يوسف في الأخير:

ـ هل أنت مقتنع بحديثها؟

ـ بالطبع لا، يبدو أنها وزوجها احتفظا بنسخة من الفيديو، كنوع من الحماية لهما

ـ وما سبب ظنك هذا؟

ـ عينيها.

نظرت له بتساؤل فاستطرد:

ـ أنا لديّ خبرة في لغة العيون، ومن واقع خبرتي أؤكد لكِ أنها كاذبة

ـ وما مصلحتها في أن تكذب؟

ـ لتحمي نفسها هي وزوجها.

أثناء عودتهما تذكرت كيان شيئا فقالت ليوسف:

ـ أنا آسفة أنني أقحمتك في تلك المشكلة، ولكن لا تقلق لم أكن أعني ماقلته لاسماء في أنك تساعدني في هذه المهمة

ـ ومن قال أنني لا أريد ذلك؟

ابتسمت وقالت:

ـ هل تعني..

قاطعها:

ـ نعم، أنا معكِ في كل خطوة ولن أتركِ أبدا

ـ ولكن يا يوسف مشوارنا ليس هين بالمرة.

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيه فسألته:

ـ لمَ الابتسامة؟

ـ للمرة الأولى تناديني باسمي دون ألقاب.

شعرت بالخجل من نفسها، لم تعلم كيف نست الحدود بينهما، وفي لحظة تحولت علاقتهما من حال إلى حال، كانت سعيدة بهذا التحول ولكن كان هناك شيء ينغص عليها تلك السعادة؛ ألا وهو أنها ستقحمه في مشكلة لا ملامح لها مما يجعل منها معقدة للغاية.

فوجئت بهاتفها يدق، عندما لمحت اسم سامح ارتبكت، لاحظ يوسف ذلك فسألها:

ـ هل هو سامح؟

ـ نعم، ولا أعلم ماذا أقول له، فأنا لا أريد أن يعرف الحقيقة

ـ لا تردي عليه.

أخذت تفكر قليلا ثم قالت:

ـ سأرد عليه وأخبره أنني صرفت نظر عن هذا الموضوع؛ لالتفت لحياتي الخاصة التي أهملتها.

ردت عليه، وكان يوسف يرمقها بعينيه، منتظرا أن تنهي مع سامح كل شيء على حد قولها، فوجىء بها تقول بدهشة:

ـ كيف عرفت كل ذلك، وكيف وصلت إليه؟

وجدها تستمع إليه بتركيز شديد، وكان واضحا أن الموضوع أخذ منحنى جديد تماما، تمنى ألا يشمل وجود سامح فهو يمثل عائق أمامه للوصول إليها، هذا على الرغم من تأكيدها له أن علاقتها به علاقة سطحية، تتعلق بمشكلة جدتها فقط لا غير.

قبل أن تنهي الحديث معه اتفقت على مقابلته، ثم قالت ليوسف الذي استشاط غضبا على إثر ذلك:

ـ لقد أبخست هذا الرجل حقه، إنه داهية بحق!

ـ ماذا جد لقولك هذا؟

ـ لقد توصل إلى الصحفي الذي نبحث عنه، ولكنه لم يعلم الحقيقة كاملة بعد، كل ما يعرفه هو أنه كان يساعد روح في قضية شائكة، وأنها تعرضت للتهديد بسببها وبعدها ماتت في الحادثة

ـ ومن الذي أخبره بكل ذلك؟

ـ مدير التحرير الذي كانت روح واسماء تعملان لديه في الجريدة

ـ ومن هو هذا الصحفي؟

ـ إنه مفاجأة بحق، الصحفي الذي نبحث عنه اتضح أنه شقيق مدير التحرير

ـ جيد جدا، لقد تلاشت العقدة هكذا، يمكننا الوصول إليه بكل سهولة عن طريق شقيقه

ـ نعم بالفعل، ولكن..

ـ ولكن ماذا؟

ـ كيف سنتخلص من سامح؟ لقد اتفق معي أن نقابله معا بعدما حدد ميعاد معه، أخشى أن يعرف بالحقيقة كاملة

ـ ليس هناك داع للخوف، من حقه أن يعرف تفاصيل وفاة حبيبة عمره.

نظرت له بدهشة وقالت:

ـ أراك تدافع عنه!

ـ هذا لأنه يسعى بقوة لمعرفة ما حدث معها، إنه لازال على عهد حبها وبالتالي يستحق أن يعرف

ـ نعم، ولكن روح حذرتني أن يتورط في الأمر

ـ روح كانت تخشى عليه لأنها ظنت أنه سيواجه الخطر بمفرده، ولكننا الآن أصبحنا فريق؛ كل منا يساند الآخر.

ابتسمت وقالت:

ـ أبهذه السرعة صرنا فريق؟

ـ لو كنتِ صارحتيني منذ اليوم الأول؛ لم أكن أتردد في مساعدتك، الحق عليكِ أنتِ.

قال ذلك ثم أكمل في طريقه لمقابلة سامح، ولكن تلك المرة بكل حيادية ودون ضغينة، وجلست هي تفكر كم أن يوسف شخصية رائعة، وتمنت لو كانت قابلته منذ زمن، ثم تذكرت أنها قابلته منذ زمن بالفعل وهم أطفال، ولكن أمها هي من أبعدتها عنه، أخذت تنظر نحوه في المرآة خلسة، وتقارن ملامحه الآن بملامح وجهه وهو طفل، لم يتغير كثيرا، نفس بشاشة الوجه

ونفس القرب، كان قديما يقترب منها ليحظى بلحظات معها، الآن أيضا يفعل نفس الشيء ولكن لمعة عينيه كلما لمحتها تشي بشيء أكبر بكل تأكيد.

.....

توقفت سيارة يوسف أسفل عقار الذي به الجريدة، وفور أن ترجلت كيان وجدت سامح أمامها، يرمقها بضيق، ثم نظر نحو يوسف الذي كان يتمم على سيارته وسألها بريب:

ـ ما الذي يفعله هنا؟

ـ لقد انضم إلينا ليساعدنا

ـ هل تثقين فيه؟

ـ نعم بكل تأكيد.

كان يوسف ينظر إليهما وهو يشعر بغيرة شديدة، حاول أن يسيطر على نفسه بطمأنة حاله أن ما يجمعهما هو مشكلة روح وليس أكثر من ذلك. اقترب منه ومد يده ليسلم عليه، حاول أن يعامله بود وسامح هو الآخر حاول أيضا، لكنه كان يحمل له بعض الضغينة فهو على يقين أنه يحمل مشاعر نحو كيان.

دلفت كيان نحو المبنى الكبير وفي أثرها كل من سامح ويوسف، استقلوا المصعد، وفور أن أغلق بابه وأخذ في الصعود؛ ضحك كل من كيان ويوسف،

تذكرا مقابلتهما الثانية فيه وماذا فعلت بعدها كيان به، نظر نحوهما سامح بغيظ وسأل:

ـ ما الداعي للضحك الآن؟

ـ قالت كيان:

ـ لا شيء، لقد تذكرنا موقف جمعنا فقط.

للحظة شعر أنهما مقربان من بعضهما، وتراءت له بعض الذكريات التي كانت تجمعه بروح، كانا مثلهما تماما، يشعران ببعضهما من نظرة واحدة، كالعصفوران يغردان، يحلقان بحرية دون قيود، إلى أن فرقهما الموت. لام نفسه أنه كان يحمل مشاعر لكيان، فكيان ليست روح، ولا يجب عليه أن يتسم بالأنانية الآن بعد كل تلك السنين.

وصلوا إلى الطابق المحدد وسأل سامح عن مكتب خالد رئيس التحرير، لقد استطاع أن يصل إلى هذا المنصب بعد عمل مضني في مجال الصحافة، وصلوا إلى مكتبه، طلبوا من سكرتيرته الخاصة مقابلته، غابت عنهم وبعد قليل حضرت وقالت لهما بابتسامة واسعة:

ـ إنه في انتظاركم بالداخل.

دلف الثلاثة إليه، كان يجلس خلف مكتبه فنهض ليرحب بهم على الفور، لم تخفى على يوسف نظراته الفضولية نحو كيان، حاول أن يضبط مشاعره فلم يكن ينقصه هذا الغريب هو الآخر.

استهل سامح الحديث:

ـ لقد تقابلنا من قبل يا أستاذ خالد، وقتما كنت أحضر فيما مضى لاصطحاب روح.

قال خالد بتأثر:

ـ أذكرك بالطبع، لم تكن روح رحمها الله تتحدث سوى عنك، لقد كانت تكن لك كل الاحترام والحب.

قال سامح بحزن:

ـ رحمها الله، لقد جئنا اليوم لزيارتك، كما رتبت معك لمقابلة شقيقك عبد الرحمن.

تبادلت كيان النظرات مع يوسف ثم سألت:

ـ لقد أخبرتنا اسماء أنه يُدعى نادر.

ضحك خالد وقال:

ـ اسماء تخاف على عبد الرحمن كثيرا، ولا تريده أن يتورط في تلك المشكلة بالتحديد، لكن عبد الرحمن قرر اليوم أن يساعدنا دون علمها.

قالت كيان:

ـ فهمت.

استدعى خالد سكرتيرته وطلب منها أن تبلغ عبد الرحمن بحضورهم، غادرت السكرتيرة لتبلغه، وجلس الثلاثة في انتظاره بفارغ الصبر.

الفصل الثامن عشر

دلفت ريتاج إلى خديجة وجدتها شاردة وتبدو ذهنها مشغول بشيء، لفتت انتباهها النافذة مفتوحة سألتها:

ـ لماذا أتعبتِ نفسك ونهضتِ من السرير؟ أنتِ مازلتِ متعبة.

قالت خديجة بصوت واهن:

ـ أردت الاطمئنان على كيان، ألم تعد بعد؟

ـ لا، ستعود عما قريب

ـ لا أظن ذلك

ـ لمَ تقولين هذا؟

ـ لأنني أعرف هي مع من الآن.

ظنت ريتاج أنها مجرد تكهنات فقط، ولكنها خيبت ظنها عندما استطردت:

ـ هي الآن مع يوسف أليس كذلك؟

ـ وما الذي سيج...

قاطعتها بجدية شديدة:

ـ لأنني رأيتهما بعيني، ما عهدت عليكِ الكذب يا ريتاج

ـ أنا آسفة، ولكني خشيت أن تغضبي عندما تعلمين

ـ لقد كنت أكرهه بالفعل، ولكن الآن بعدما رأيت نظرات الحب في عينيه لها؛ شعرت بالراحة قليلا.

نظرت ريتاج لها بغير تصديق للهدوء الذي كانت عليه، صُدمت أكثر عندما أردفت:

ـ أنا لم أكن أستريح لأدهم، كنت مجبرة عليه ظنا مني أن كيان تحبه وتريده، لكن عندما أيقنت أنه يستغلها فقط وهي أيضا فطنت لتلك الحقيقة مؤخرا؛ سعدت بأنها قررت وحدها أن تتخطاه وتتركه

ـ معكِ حق، أنا أيضا كنت سعيدة عندما تحررت منه

ـ هذا هو المصطلح الصحيح، أحسنتِ يا ريتاج

ـ كم أتمنى أن تجد الحب الحقيقي

ـ هذا آخر همي الآن.

نظرت لها بتساؤل فاستطردت:

ـ أنا أعلم أنها أقحمت نفسها في ماضي روح

ـ هل كنتِ تعلمين؟

ـ نعم، منذ أن رأيت اسماء معها وأنا أشك بالأمر، لقد قالها سامح لنا فيما مضى، أن روح قبيل موتها كانت تخفي الكثير، ولم يعلم أحد منا ما أخفته، لكني أشعر الآن أن كيان ستعلم؛ لأنها ذكية وتتحرك بتفكير منطقي، ما يهمني الآن أن اطمئن عليها، هل من الممكن أن تهاتفيها وتسأليها عما تفعل؟

ـ سأفعل حالا.

اتصلت عليها فردت بعد قليل، اطمئنت عليها وطمئنتها على أمها أنها بخير حال، ثم عندما أنهت الحديث معها سألتها خديجة:

ـ هل هي بخير؟

ـ نعم

ـ وهل يوسف معها؟

ـ يوسف و.. وسامح

ـ طالما سامح انضم إليهما فستضح الحقيقة عما قريب.

عندما غادرت ريتاج دلفت خديجة إلى غرفة كيان، فتحت دولابها وأخرجت ثوب الزفاف، نظرت نحوه بحب دون خوف تلك المرة وقالت:

ـ لقد أخفيتِ عنا الحقيقة وتركتينا بلا رجعة، ولكن يشاء الله أن تتضح الصورة الآن، كم أشفق على سامح من الحقيقة المُرة، سيتذوق العلقم للمرة الثانية، لقد كان حبه لكِ بمثابة داء دون دواء، كان الله في عونه.

***

جلس الجميع في انتظار عبد الرحمن، ثم استقبلت كيان اتصال من ريتاج، اطمأنت منها أن أمها بخير، وطمأنتها أن كل شيء على ما يرام، بعد أن أنهت الحديث معها أرادت أن تسأل يوسف عن شيء ولكن عبد الرحمن حضر، سلم على الجميع وهو ينظر نحو كيان بفضول، ثم عندما وقف أمامها قال وهو يشير نحوها بتردد:

- روح؟

ـ أنا حفيدة شقيقتها

ـ تشبهينها إلى حد كبير وكأنكما شقيقتان!

ثم جلس وقال معتذرا:

ـ آسف على التأخير ولكن زوجتي أخرتني كالعادة، هي لا تعلم أنني على موعد معكم اليوم وإلا كانت منعتني.

قالت كيان:

ـ نحن متفهمون للوضع، وشكرا لموافقتك على أن تتعاون معنا

ـ عفوا، ما المطلوب مني بالضبط؟

قال سامح:

ـ نريد أن نعرف منك كل شيء، بداية بمعرفتك بروح والحقيقة التي أخفتها عنا

ـ حسنا سأخبركم بكل شيء.

واستمع له الجميع بآذان صاغية.

لم يكن جديد على كيان ويوسف ما أخبرهم به عبد الرحمن ولكن سامح كان يسمع للمرة الأولى، حتى عندما جاء على سيرة أنها أرادت الانتقام بشدة، شحذ كل حواسه لسماعه التفاصيل التي لطالما أراد سماعها منذ زمن.

قال عبد الرحمن:

ـ لقد أردت مساعدتها صدقا، ولقد تواصلت مع وكيل نيابة صديق لي، أعطيته الفيديو ليشاهده، قال لي بعد انتهائه: مع الأسف أن هذا الدليل هو الوحيد على الجريمة، لأنه دليل واه للغاية، فالتصوير عشوائي وأيضا المجرم محى كل الأدلة والجثث ليس لها وجود، ناهيك عن ان الجريمة حدثت هناك في تركيا

قلت له: ولكن القتلى مصريين

قال لي: أن ما من أحد بلغ باختفائهم من الأساس.

كانت القضية صعبة من جميع النواحي، لم يكن هناك أمل واحد، لكن صديقي نبهني لنقطة، أننا من الممكن أن نهدده بفضحه عن طريق نشر الفيديو على الرأي العام، وكونه شخصية مشهورة ومعروفة فهذا سيهدد مستقبله المهني، اقترحت على روح ذلك الاقتراح ولاقى لديها ترحيب شديد، أرادت أن تنفذه وحدها لكني نهيتها عن ذلك نظرا لخطورته عليها، قلت لها أنني من الممكن أن أفعل ذلك دون أن أُعرف عن شخصيتي فوافقت، وتواصلت أنا معه عن طريق الانترنت، وبعثت له بالفيديو، تحدث معي على أنني روح لكني أكدت له أنني لست هي، لم يصدقني مع ذلك وفوجئت به يبعث لي بفيديو هو الآخر ومعه رسالة تحذيرية مضمونها: "هذا الفيديو أمام الفيديو الذي معكِ، وفضيحة بفضيحة، وتذكري أنني لديّ الكثير من المعارف والمحاميين وأنتِ ليس لديكِ شيء".

شعرت بالاستفزاز من رسالة تهديده، وكان لديّ فضول أن أعرف ماذا يحوي الفيديو الذي أرسله، لقد كنت شريك روح بالفعل؛ لذا لم أرى مانع من مشاهدته وليتني ما شاهدت.

التزم عبد الرحمن الصمت وهو يشعر بالحرج الشديد، لم يعرف كيف ستكون وقع الصدمة عليهم، عندما يعرفون ما هو محتوى الفيديو.

وحدها كيان التي كانت تعرف، وشعرت بالقلق من اللحظة القادمة، حينما يعلم سامح بالحقيقة، وجدت سامح يسأله بلهفة:

ـ ماذا كان بالفيديو؟ تحدث ولا تتركنا على أعصابنا هكذا.

ابتلع عبد الرحمن ريقه بصعوبة وقال:

ـ لقد كان عبارة عن مشهد يجمع بين روح وباسم في.. في..

سأله سامح بعصبية:

ـ ماذا؟

ـ كان مشهد حميمي في غرفة النوم.

شعر سامح وكأن دلو من الماء البارد صُب فوق رأسه، نهض على الفور وهم أن يغادر فاستوقفه عبد الرحمن قائلا:

ـ انتظر أرجوك، فأنا عندما أنهيت الفيديو؛ أدركت أنها جريمة اغتصاب وليس مشهد حميمي يجمعهما معا.

أسرع سامح إليه وأمسكه من ياقة قميصه بقوة، وقال بنبرة اهتزت لها أرجاء الغرفة:

ـ ماذا تقول، كيف حدث ذلك ومتى؟

قال عبد الرحمن بخوف:

ـ لقد صارحتني روح بعدما أخبرتها بأمر الفيديو، أن ذلك حدث بعدما أبلغت عنه الشرطة هناك، وأنه هددها به حتى يتقي شرها ويضمن صمتها المطلق، كانت مغلوبة على أمرها فأشفقت عليها وزاد ذلك من إصراري على تكملة المهمة ولكن دون المساس بها.

قال سامح بغضب هادر:

ـ النذل الجبان، لن أتركه إلا وهو جثة هامدة.

التف خالد ويوسف حوله وأخذا يحاولان تهدئته ولكن هيهات، هم أن يغادر فاستوقفته كيان:

ـ أستاذ سامح انتظر أرجوك.

التفت إليها وقال بغضب:

ـ الهدوء الذي أنتِ عليه الآن يوحي بأنكِ كنتِ على علم بكل ذلك، لماذا لم تخبريني إذا؟

ـ أنا عرفت الحقيقة منذ يومين فقط، لقد صارحتني اسماء وخشيت أن تصارحك أنت

ـ ولماذا؟

ـ أعتقد خشيت من ردة فعلك الآن، انظر لنفسك في المرآة، لقد تحولت لشخص آخر، شخص يريد الانتقام فقط لا غير

ـ وهل هناك رد فعل آخر غير هذا؟ لقد كانت حبيبتي وخطيبتي وكنا على وشك الزواج، لقد رأيتها تذبل أمام عيني دون أن أعرف السبب

ـ هي أرادت ألا تعرف خوفا عليك.

قال بتهكم:

ـ خوفا عليّ، وماذا حدث لي منذ وقتها، ألم أتحول لمجرد شبح يحيا على ذكراها، ليتني مت معها.

قال يوسف بتأثر:

ـ لا تقل هذا، أنت شخص مؤمن، لا تجعل الصدمة تنال منك

ـ سهل عليك قول هذا لأنك لست مكاني، أنا بداخلي نار مشتعلة لا تكفيها أنهار هذا الكون لتطفئها.

تدخل عبد الرحمن قائلا:

ـ هناك حل لتلك الحالة التي أنت عليها.

نظر إليه الجميع منتظرين أن يكمل فأردف:

ـ فيديو الجريمة لازال معي، يمكننا ملاعبته به وتحويل حياته إلى جحيم.

قال خالد:

ـ نعم بالفعل، ويمكننا أن نستغل خوفه على مستقبله بمطالبة مبلغ من المال ونسجل له كل شيء.

قال يوسف بعد برهة:

ـ لقد وجدتها.

حاز على اهتمامهم فاستطرد:

ـ يمكننا أن نستغل الشبه بين كيان وروح ونخدعه بتمثيلية صغيرة.

سألته كيان:

ـ كيف ذلك؟

ـ سنحاول إقناعه أنكِ روح روح؛ التي عادت لتنتقم منه، وتحت وطأة خوفه ورعبه سنستغل ذلك ونسجل له اعترافا بقتلها.

قالت كيان وقد استحسنت الفكرة:

ـ إنها فكرة رائعة.

قال يوسف محذرا:

ـ ولكني سأكون إلى جانبكِ لحظة بلحظة ولن أتركك، ويجب أن تنفذي كل ما أخبرك به وإلا سنلغي هذه المهمة

ـ لك هذا.

وغادر الجميع بعد أن شعروا بالراحة اتجاه خطة يوسف، التي أخذ على عاتقه إعدادها، ولم يجد بُد من الاستعانة باسماء هي الأخرى، ليعلم منها ماذا كانت ترتدي روح وقتها وما إلى ذلك.

.....

عادت كيان إلى منزلها، كانت خديجة في استقبالها، لم تبين لها شيء، انتظرت لتخبرها بنفسها، شعرت أنها لم تنجز مهمتها بعد فآثرت أن تنتظر.

عندما دلفت كيان إلى غرفتها؛ فتحت دولابها ونظرت نحو الثوب وقالت: لقد بدأت القصة بك ويبدو أنها ستنتهي بك، لقد قررت الانتقام لكِ يا روح، سأرد لكِ كرامتك واعتبارك وحقك، سترتاحين أخيرا في قبرك يا حبيبتي، لقد اجتمع محبينك على الأخذ بثأرك فلا تقلقي واطمئني.

ثم غلبها النعاس وخلدت إلى النوم لترى روح في منامها، وهي تبتسم وتقول لها بامتنان: أشكرك من كل قلبي.

لقد ظنت يومها أن زيارة روح لها لم تكن حقيقة، ولكن في أحلامها فقط، وأنها زارتها في أحلامها لتخبرها بأن تسعى للوصول إلى الحقيقة، وها هي وصلت وليس هذا فقط، بل وستقتص ممن خرب حياتها.

في اليوم التالي هاتفها يوسف ليخبرها بأن تستعد لتنفيذ الخطة، كان الجزء الأول من الخطة يقتضي أن تظهر كيان فجأة أمام باسم، ثم تختفي من العدم ليشك في نفسه ويظن أنها روح روح، وقد كان هذا الجزء سهل التنفيذ بعد أن حفظ يوسف تحركاته القادمة كلها، ولقد ظنت كيان أن الجزء الخاص بها سهل التنفيذ؛ حتى حل ذلك اليوم الذي كانت ستظهر له للمرة الأولى، استعدت وارتدت ما اقترح عليها يوسف واستقلت معه السيارة برفقة ريتاج، لم يرتاح يوسف لمظهرها، فقد كان وجهها خالي من نقطة دم واحدة ولاحظ أنها ترتعش، سألها:

ـ هل تشعرين بالبرد أم ماذا؟

لم تكن تريد الكذب عليه فقالت:

ـ أشعر بالخوف، ثم إنني للمرة الأولى في حياتي أتصرف بهذه الطريقة.

قال ليطمئنها:

ـ كلنا نشعر بالخوف، المهمة ليست هينة، ولكن يجب علينا جميعا التماسك؛ لتأديتها على أكمل وجه

ـ أعلم وأؤكد لنفسي هذا طوال الوقت، أنا فقط لا أصدق أنني اخترقت حاجز الأمان الذي اختلقته لنفسي من قبل؛ لأحميها من شرور العالم الذي لطالما حذرتني أمي منه، فجعلتني إنسانة تخشى من ظلها.

أشفق على حالها فقال بحنان:

ـ لا تقلقي فنحن إلى جانبكِ، ثم أنكِ أحرزتِ تقدما كبيرا بالفعل، بإقدامك على كشف الحقيقة، وهذا يعني أنكِ على الطريق الصحيح.

شعرت بالاطمئنان قليلا، وأخذت تؤكد لنفسها أنها على ما يرام وستنجح في مهمتها.

عندما لمحت كيان باسم من بعيد والمذيع يجري معه حوار؛ اجتاحتها مشاعر شتى، كان أكثرهم سيطرة عليها هو الكراهية، تلك هي مرتها الأولى التي تكره فيها أحد بهذا الشكل، ربما لأنها لم تصادف في حياتها نذل مثله، لاحظ يوسف شرودها ونظراتها الغاضبة فذكرها بمهمتها وقال:

ـ كيان ركزي أرجوكِ في المهمة ونحي مشاعرك جانبا، ولا تنسي أن روح تحتاجك الآن لتظهر الحقيقة.

تذكرت وعدها لها أنها ستنتقم ممن قتلها، فاستعدت وبدأت في تنفيذ مهمتها، ظهرت أمام باسم فجأة وهي تنظر نحوه في تحدي واضح، وعندما أيقنت أنه لمحها وتعرف عليها؛ اختفت من أمامه، لم يستطع أن يلحق بها نظرا لوجود المحاور الذي كان يتحاور معه، ثم كررت حضورها أمامه، ولاحظ الجميع أنه متشتت وليس على ما يرام.

بعدها بعدة أيام اتبعوا نفس الخطة ونفذت كيان هذا الجزء من الخطة ببراعة وجعلت باسم يظن أنه فقد عقله، ثم اقترب اليوم الذي كان المطلوب من كيان أن تنفذ الجزء الثاني من الخطة؛ ألا وهو لقاء باسم وجها لوجه تلك المرة.

طلب يوسف من كيان أن تستعد، وترتدي ثوب مميز للغاية؛ لأن هناك حفل بعد أيام سيقيمه باسم في قصره؛ للاحتفال بفيلمه الجديد تزامنا مع ترشيحه لذلك المنصب الهام، أخبرته أنها ستستعد وتتهيأ لذلك اللقاء، ثم طلبت منه أن يكون إلى جوار سامح، فوجئت به يخبرها أنه معه في بيته ولم يتركه منذ وقتها، اطمئن قلبها وشعرت أن كل شيء يسير على ما يرام.

استعدت لذلك اليوم، وحانت اللحظة الحاسمة للقاء باسم، كانت قد غيرت تسريحتها وارتدت ثوب زفاف روح، ووضعت بعض المساحيق لتكن مثلها

بالضبط، ساعدتها في ذلك ريتاج التي أصرت أن تستعد في بيتها، حتى لا تراها خديجة فتشعر بالقلق.

عندما نزلت كيان من عند ريتاج كان في انتظارها كل من يوسف وسامح، عندما وقعت عين الأخير عليها لم يستطع كبح دموعه التي انهالت على الفور، اقتربت منه وقالت:

ـ أرجوك تماسك.

أومأ لها وقال:

ـ سأحاول.

جلست إلى جانب يوسف بالسيارة؛ الذي أطال النظر إليها فسألته:

ـ ما بك أنت الآخر؟

قال بهيام:

ـ أنا مغرم.

ابتسمت في خجل ثم قالت بعد برهة:

ـ لا أشعر بأطرافي وأشعر بالخوف.

أشفق عليها، ود لو يحتضن يديها بين يديه لكنه لم يجرؤ على فعل ذلك، ذكر نفسه أنه سيفعل ذلك ذات يوم عندما تكون من نصيبه، قال لها:

ـ لا تخافي من شيء وأنا معكِ، لن أدع أحد يقترب أو يمس شعرة منكِ.

نظرت له بامتنان واطمئنت قليلا، وبالخلف جلس سامح يتمنى لو يعود به الزمن إلى الوراء؛ ليلتقي بروح من جديد، ويمنع عنها كل الأذى الذي تعرضت له في حياتها.

ثم انطلق يوسف بسيارته إلى حيث وجهتهم المحددة، وراجع الجميع الخطة مرة أخرى وتوكلوا على الله.

****

الفصل التاسع عشر والأخير

عندما وصلت كيان إلى الحفل؛ اتجهت كل الأنظار نحوها، نظر باسم ليرى من الذي خطف عقول المدعويين هكذا، اندهش عندما وقع بصره عليها، فرك عينيه كالأطفال ليتأكد مما يراه، كان قد لجأ لبعض الأدوية في الفترة الأخيرة؛ بسبب تلك التهيؤات التي أصبح يعاني منها مؤخرا، وفي محاولة يائسة منه مال على أذن حارسه الخاص وقال:

ـ هل ترى تلك الفتاة هناك؟

ـ أين؟

ـ هناك بالقرب من النافذة

ـ نعم أراها.

شعر باسم بالقلق وقال على الفور:

ـ أريدك أن تعرف لي من تكون.

أومأ له الحارس بالإيجاب ثم غادر.

بعد قليل عاد إليه وقال:

ـ إنها صحفية حضرت لتغطي أخبار الحفل.

سأله بعصبية:

ـ ما اسمها؟

ـ اسمها روح.

انتفض وشعر بدوار شديد، فأمسك الحارس بمعصمه ليسنده، سأله:

ـ هل زودت جرعة الخمر اليوم يا سيدي؟

قال بعصبية:

ـ أنا لم أشرب من الأساس

ـ لمَ لا تصعد إلى غرفتك لترتاح قليلا؟

ـ حسنا سأفعل، وحتى أتناول أدويتي أيضا.

صعد باسم إلى غرفته، دلف إليها والأرض تميد به، جلس فوق الفراش وقال:

ـ ماذا يحدث معي؟

نظر أمامه ليفوجىء بروح وهي تدخل إليه من النافذة، وتتجه نحوه ببطء، نهض وقال بخوف:

ـ هل أحلم أم ماذا؟

تراجع إلى الخلف في حين هي كانت تتقدم نحوه وتقول:

ـ أنت لا تحلم وما تراه حقيقي، فاليوم هو يوم الحساب

ـ لا لا هذا كله غير حقيقي.

أسرعت نحوه تمنعه من ضغط ذر استدعاء الخدم، ووقفت أمامه بتحدي قائلة:

ـ لقد قررت أن اقتص منك لما فعلته بي

ـ أنا آسف، آسف، لم أقصد أن أؤذيكِ أبدا.

قالت بتهكم:

ـ لم تقصد أن تسلبني شرفي، أم أن تقتلني؟

ـ لم يكن ذلك قراري أبدا، لقد أقنعني المحامي الخاص بي ومساعدي بأن هذا هو الحل الوحيد، لم يكن هناك حل آخر أمامي، أنا كنت أعشقك قسما بربي.

قالت بغضب هادر:

ـ أصمت، لا تقسم بالله كذبا.

قال بانهيار:

ـ صدقيني، لقد أحببتك منذ أول يوم رأيتك به، ولكنك كنتِ تبتعدي عني بحجة أنكِ مرتبطة، لذا جن جنوني، لم أتصور أن يحصل عليكِ شخص غيري، كنت أود أن أعرض عليكِ الزواج حينما كنتِ بقصري، لكن راغب حذرني أن أفعل ذلك، قال لي أنكِ تمثلين خطرا على مستقبلي إذا علمتِ بطبيعة عملي، لقد وضعنا كاميرا مراقبة بغرفتك أنتِ وصديقتك؛ لتكونا تحت أنظارنا، ومع الأسف حدث ما حدث ورأيتِ جريمة القتل، فلم يكن هناك حل سوى خطفكِ و..

ـ وماذا، تحدث، هل تشعر بالخذي من فعلتك الآن؟

ـ كنت تحت تأثير المخدر الذي كنت مدمنا عليه، وقد أقنعني مساعدي أنكِ بذلك لن تشي بي مرة أخرى، لقد زين الشيطان لي أيضا، أن تلك فرصتي الوحيدة لأحظى بكِ فلا تصلحين لأحد غيري، أنا آسف، آسف.

ابتسمت كيان بتشفي ثم قالت بصوت عال فجأة:

ـ هل سجلتم كل شيء؟

ظهر كل من يوسف وسامح من خلف الستار، وقال يوسف:

ـ سجلت اعترافا كاملا بكل شيء.

لم يستطع سامح السيطرة على نفسه، بعد سماعه لاعترافه المخزي، انقض عليه، ونسي تحذيرات يوسف إليه ألا يشتبك معه أبدا، حاول يوسف تخليصه منه، لكنه أمسك برقبته ولم يتركها، ضغط عليها بقوة ولم يسمع توسلات كيان التي كانت تطلب منه أن يتوقف، خاصة وقد تناهى إلى مسامعهم وقع أقدام قريبا منهم، اضطر يوسف أن يلكم سامح بقوة ليتركه من بين يديه، أفاق سامح أخيرا وتركه؛ لينفذ الهواء إلى رئتيه مرة أخرى ليسعل بعدها بشدة، ثم تركوه وفروا من باب آخر بالغرفة، بعدما أغلقا البابين بالمفتاح وأخذوا المفتاح معهم.

في اليوم التالي تصدرت جميع وسائل الإعلام اعتراف باسم بجريمته، لم يكن من الصعب عليه أن ينفي عن نفسه التهم عن طريق مساعدة محاميه، لكن يشاء القدر أن يبلغ عنه شخص آخر، يبدو أنه انتهز الفرصة للانتقام منه وأرشد عن المكان الذي يخفي فيه الأسلحة التي يتاجر بها،

وبالفعل داهمت الشرطة المكان ووجدوا العديد من الأسلحة الغير مرخصة، وقد كان المخزن يعود ملكيته لراغب الذي عندما فوجىء بذلك اعترف أمام النيابة بكل شيء، وأُدين باسم بشكل رسمي وكان أمامه سجل حافل من القضايا التي كان على زمتها.

كادت كيان أن تطير من السعادة عندما نجحت خطتهم، وكانت سعيدة أكثر برجوع حق روح التي تناولت الأخبار قصتها وما فعله باسم بها، ولكن الشيء الذي لم يكن في حسبانها هو أمها؛ التي علمت كل ذلك من الأخبار ولم تعلم منها هي.

عندما وصلت كيان في ذلك اليوم إلى منزلها كانت خديجة تنتظرها في غرفتها، أضاءت كيان النور وعندما وجدتها جالسة على فراشها فزعت، ظنت للحظة أنها روح، قالت لها خديجة تطمئنها:

ـ لا تقلقي لست روح إنها أنا.

زفرت كيان بارتياح وقالت:

ـ لقد أفزعتني يا أمي، لماذا تجلسين هكذا في الظلمة؟

ـ كنت انتظركِ لأعاتبكِ.

نظرت لها بتساؤل فاستطردت:

ـ لقد كنت أعلم أنكِ تنبشين في ماضي روح، وانتظرتك أن تأتي لي وتصاريحيني بكل شيء، ولكنك لم تأتي، بل تماديتِ وظهرت الحقيقة أيضا ولم أعرفها منكِ.

جلست كيان إلى جانبها وقالت:

ـ لم تكن لديّ الشجاعة لأخبرك؛ خاصة في ظل قلقك المستمر عليّ وحالتك الصحية مؤخرا، كنت أخشى من ردة فعلك، فما حدث لروح ليس بهين

ـ صدقيني لقد كنت أنوي أن أبحث خلفها لأعلم ما الذي أبدلها، لكن جائني هاجس يخبرني أن سامح لم يستطع أن يصل إلى شيء، فهل سأصل أنا الشخصية المسالمة؟ ثم إن حالة أمي كانت ترثى لها، لقد حزنت بشدة عليها ولازمها المرض منذ وقتها حتى أسلمت روحها لبارئها، لقد كانت بمثابة ابنة لها

ـ أعلم كل ذلك يا أمي، أنا لا ألومك أبدا ولكن حبي لكِ دفعني لأن أخفي عنكِ الأمر.

نهضت خديجة وقالت من بين دموعها:

ـ أكثر ما أحزنني هو أن روح حملت ذلك الهم الكبير وحدها، لم يكن هناك من يساندها أو يؤازرها، حتى بعدما ماتت؛ كنت أشعر بروحها حولي ترفرف ولكنها حزينة، لقد طالني حزنها ووحدتها، ولذلك تحولت إلى تلك المرأة القلوقة الخائفة طوال الوقت.

نهضت كيان وضمتها بقوة ثم قالت:

ـ أمي أنتِ عظيمة، لا تلومي حالك، يكفي تربيتك لنا أنا وأخي لنصبح على ما نحن عليه الآن

ـ هل أنتِ فخورة بي حقا؟

ـ نعم بكل تأكيد.

ثم مسحت دموعها وقالت لها:

ـ لقد حان الوقت لكي نحتفل يا أمي بعودة حق روح

ـ معكِ حق

ثم أشارت خديجة إلى الثوب الذي وضعته فوق الفراش وقالت:

ـ هل يمكنني أن آخذه الآن؟

ـ نعم، فأنا لم أعد في حاجة إليه.

عندما غادرت، نظرت كيان حولها، تتأكد أنها وحدها تماما، فلا الثوب أصبح بصحبتها، ولا روح ظهرت لها مجددا، يبدو أنها اكتفت من الظهور لها، فقد ظهرت الحقيقة، ونال كل ذي حق حقه. تراءى لها مشهد الحادث الأليم، عندما صدمت روح السيارة، الآن فقط أصبحت على علم كيف تعرفت روح على قاتلها قبل وفاتها، فقد كان السائق راغب بنفسه، لم يثق باسم أن يوكل أحد المهمة غيره، لقد رأته روح وهو يسرع نحوها بإصرار شديد، لم تكن تمتلك القوة لتفر هاربة منه، فقد أعياها ما حدث معها، وأيضا الحمل الذي طرأ عليها وفوجئت به قبل ساعات قليلة من موتها، ربما قتلتها الصدمة قبل مداهمة السيارة، لا أحد يعرف، ولكن الأكيد أنها لم تتمسك بالحياة ولو للحظة.

.....

احتفل الجميع في مكان عام بمناسبة عودة حق روح، وكان يوسف حاضرا بعد أن صارحت كيان أمها أنه ساعدها في تلك المهمة الصعبة. جلس يوسف إلى جانب كيان وقال:

ـ الآن وقد نلتِ ما تتمنيه هل تدعيني أن أنال ما أتمنى أنا الآخر.

سألته بعدم فهم:

ـ ماذا تقصد؟

ـ أنا أحبك يا كيان وأريد الزواج منكِ.

عندما أشاحت بوجهها بخجل قال:

ـ لا تقولي أنكِ فوجئت بالأمر.

قالت بخجل:

ـ كنت أشعر بك، ولكن هناك شعور آخر طغى على ذلك الشعور، فقد كنت أشعر إلى جانبك بالأمان، وهذا جعلني آلف وجودك سريعا في حياتي

ـ كم أنا محظوظ بكِ يا كيان، إن حديثك معي الآن رد الروح في قلبي من جديد

ـ بل أنا المحظوظة بك يا يوسف، فأنا معك اكتشفت شخصية أخرى تماما في، كنت أتصرف معك على سجيتي، لم أشعر أنني مقيدة أو بلا رأي كما كنت مع أدهم

ـ كم أنا سعيد بسماعي ذلك، ولكن لم تخبريني إلى الآن؛ هل أنت موافقة على الزواج مني؟

ضحكت وقالت:

ـ ألم تفهم بعد؟

ـ أنا أريد أن أسمعها منكِ فلا تبخلي عليّ بها

ـ موافقة.

كانت خديجة تراقبهما من بعيد وهي سعيدة ولاحظ حازم ذلك فسألها:

ـ هل رضيتِ عن يوسف أخيرا؟

ـ نعم، لأنه ساعد ابنتي، وكان واقفا في ظهرها وهي في شدة أزمتها

ـ ألن تتشائمي منه مرة أخرى؟

ـ لا، أقصد سنرى مع الأيام.

ضحك وضحكت هي معه أيضا، وعندما لمحتهما كيان شعرت بالسعادة، كم تمنت أن ترى تلك السعادة على وجهها؛ خاصة بعد أزمة موت روح.

اقترب سامح منها وقال:

ـ لقد جئت اليوم لأودعكم، لأنني سأعود إلى سيوة في الغد.

سألته كيان:

ـ لمَ تعاود السفر، أما آن الاوان لسعيك للاستقرار؟

نظر نحوها هي ويوسف وقال:

ـ ليس من السهل عليّ الآن أن أسعى إلى الاستقرار، ثم إنني تعودت على الوحدة وآلفتها.

قال يوسف:

ـ الوحدة لن تنفعك في مرحلة ما.

اومأ سامح برأسه وقال:

ـ معك حق، أعدكما أنني سأحاول.

ثم سلم على الجميع وهم أن يغادر، فشعر بنسمة هواء تلفح وجهه، كانت وكأنها تدواي جراح نفسه وتداوي قلبه الذي انكسر بموت روح، تلفت حوله فقد شعر أن تلك النسمة هي روح؛ تحاول أن تخفف عنه، شعر بالراحة ثم مضى لتقف روح مكانه تراقبه وهو يغادر، لاحظت أن خطواته وهو يغادر الآن، لم تكن كما كانت عندما حضر، شعرت أنه سيسعى للتغيير، بناء على النصيحة التي سمعها منذ قليل؛ على الرغم من أن تلك النصيحة تشمل ألا يربط نفسه بها بعد الآن، ولكن كان همها أن تطمئن عليه فقط، وحتى تهدأ نفسها هي الأخرى، وتتوقف عن التحليق في هذا العالم الواسع الذي لا تنتمي إليه.

تمت بحمد اللّه

محتويات الرواية

إهداء.....4
الفصل الأول.....7
الفصل الثاني.....17
الفصل الثالث.....25
الفصل الرابع.....34
الفصل الخامس.....42
الفصل السادس.....53
الفصل السابع.....62
الفصل الثامن.....70
الفصل التاسع.....80
الفصل العاشر.....93
الفصل الحادي عشر.....102
الفصل الثاني عشر.....113
الفصل الثالث عشر.....122
الفصل الرابع عشر.....132
الفصل الخامس عشر.....142
الفصل السادس عشر.....154
الفصل السابع عشر.....163
الفصل الثامن عشر.....171
الفصل التاسع عشر والأخير.....185
محتويات الرواية.....195

dewanalarabegypt@gmail.com

01030502390

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.